المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر بعد المئة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧

الروحانية وتطورها

I

عند البدائيين وفي العصر القديم

— ١ —

منذ عصور موغلة في القدم ، اعتقد الانسان أن الشخص الحي يختلف عن الجثة الميتة ، في أن جسمه حال الحياة ، يحوي جوهراً مخالفاً للبدن يُوجّه أغراضه وحركاته ، ويحتكم في نمائه وتجدده ، وإليه يرجع السبب فيما يعتلج في الإنسان الحي من إحساس وفكر وشعور . ذلك بأن الاعتقاد في مثل هذا المبدأ الروحاني ، أو النفس ، قد علق بأذهان كل السلالات البشرية العائشة على ظهر الكرة الأرضية ، بالغة ما بلغت من انحطاط الثقافة أو ضعف القوى العاقلة . ولقد نجد ما نستدل به على وجود هذا المعتقد جليّاً في أقدم ما خلّف الانسان من الآثار .

واعتقد أهل الثقافة والعلم من الأمم ذوات الحضارات العالية أن النّفس موجود غير مادّي أو هي مبدأ فاعل يلابس الجسم . غير أن الفرق بين الأشياء المادية وغير المادّية ، يتقرّر إلاّ بعد عصور متطاولة من البحث والدرس ، وبعد التنقل في درجات من الفكر صقلت التصوُّر الإنساني في حقيقة النّفس . أما المعتقد الذي سادَ بين الجماعات ذوات الثقافة الدنيا ، فمداره أن كل إنسان لا يتكوّن في ذلك الجسم المرئي الذي يتنقّل بين عشيرته فقط ، بل إن فيه مع الجسم نسخة أخرى منه ، ظِلّية الصورة ، بخاريّة القوام . هذا الشبح البخاري ، الذي هو المبدأ الروحي الحالّ في الكائن العضوي الحي ، فيه القدرة على مفارقة البدَن ، وعلى التنقل بسرعة من مكانٍ الى مكانٍ ، وعلى استخدام كل القوى التي

يملكها حال ملابسته الجسم ، أو جُلّها على الأقل ، أينما كان وحيثما حلّ . وما النّوم عندهم إلاّ انفصال هذا الجوهر عن الجسم انفصالاً موقوتاً . كما أنهم كانوا يعتقدون أن الغيبوبة والإغماء وغيرهما من الأمراض الشديدة ، إنما ترجع إلى انفصال كهذا قد يطول أمده . أما الموت فهو انفصال نهائي حيث ينتقل ذلك الجوهر الى مكانٍ قصيٍّ بعيد .

أما كون هذا المعتقد من الأشياء الواقعة عند كثير من الشعوب ، فيدل عليه عنايتهم التامة بمراعاة عادات تلقاءه ، تعبّر عن منزلته من أنفسهم وعقولهم أتمّ تعبير . من تلك العادات أن لا يوقظ النائم لئلاّ تهرب نفسه فلا تعود إليه . فاذا كان من الضروري إيقاظه ، فينبغي أن يكون ذلك بتلطف وتؤدة ، حتى يكون لنفسه من الوقت متسع كي تحل في الجسم مرة أخرى . ومن ذلك أيضاً أن أصدقاء المريض قد يستقدمون رجلاً متطبباً ، فيحاول هذا أن يقع في غيبوبة ، حتى تتمكن نفسه من تعقب نفس المريض التي تكون ممعنة في الرجعى نحو عالمها الثاني ، فتقبض عليها إن أمكن قبل أن تكمل جولتها في الارتداد نحو وادي الموتى ، لتحُل محلها ثانية في بدن المريض . فاذا وقع الموت ، بادر أصدقاء الميت وأهله الى اتخاذ كل الوسائل الممكنة التي تساعد النفس المفارقة في جولتها ، وتحقق سعادتها في أرض الظّلال ، حيث يعتقد أنها سوف تحيا حياةً تشبه أقرب الشبه حياتها البدنية في هذه الدنيا .

> من عادات قبيلة الكاينس Kayans في برنيو مثلاً ، أن يجلس شخص ممن له مرانة خاصة بجوار الجثة ، حيث يظن أن الروح تظل جاثمة بضعة أيام بعد الموت ليزودها بتفاصيل دقيقة توجهها في رحلتها الى أرض الموتى

إن عادات الدفن عند كثير من الشعوب تزوّدنا بشواهد جلية تظهرنا على الاعتقاد بأن الروح المتجرّدة عن البدن تماثل في كل الاعتبارات الأساسية الشخص الحيّ حال قيامه في الحياة روحاً وبدناً . والعادة الدائمة في أن يقتل بعض العبيد أو الزوجات عند موت رجل نابه ، إنما فيه تعبير عن الاعتقاد بأن أرواح هذه الضحايا ترافق روح الميت حيث تذهب ، وأنها تستمر على القيام بخدمته كما كانت تخدمه قبل الموت . كما أن هناك عادة أوسع من هذه انتشاراً وذيوعاً ، هي أن تحرق مع جثة الميت أثمن أمتعته ، وبخاصة أسلحته وأدوات زينته ، وقد ترجع الى الاعتقاد بأن هذه الأشياء نسخاً طيفيّة أو أرواحاً شبحيّة ، يمكن أن تحملها الروح المفارقة معها ، لتستخدمها في العالم الآخر ، كما كان يستخدمها الانسان الحي في هذه الدنيا .

أظهر الأستاذ إ . ب تيلور E. B. Tylor في الفصول التي عقدها عن الفكرة الروحانية ،

حقيقة التصوُّر البدائي في « الروح الشبح » وأبان بجلاء ، عن شيوعها الواسع من حيث الزمان والمكان ، وذكر عليها من الأمثلة ما يجلو لنا تعدد صُورها واختلاف ضروبها (١) ولا شك في أنه عزاها الى السبب الصحيح ، حيث ردها الى ما يعالج الانسان من ظاهرة الاحلام والرؤيا ، واتصال ذلك بالمعلومات التي يتلقاها في النوم وفي الغيبوبة والاغماء ومن ظاهرة الموت نفسه . وفي حالة النوم ، حيث يكون الجسم محتاجاً للراحة ، يظلّ النائم غير واعٍ للأشياء المحيطة به . فيخيّل إليه أنه زار أماكن قصية ، وأنه التقى بأشخاص وحدّثهم وأنه ارتدى ملابسه في أثناء هذه المخاطرات التي تطوّف به في الأحلام ، وأنه تقلد سلاحه . وقد يرى في الرؤى وفي الأحلام ، خيالات مصوّرة بصور أصدقائه المتوفّين . ولما كان أكثر الهمج على اعتقاد أن ما يمر بهم من تجاريب الأحلام ، إنما هي حقائق واقعة ، كالحقائق التي تمر بهم في اليقظه تماماً ، فانه من الطبيعي ، بل ومن المحتوم ، أن تقودهم هذه الأشياء الى نظرية أن النفس الشَّبَح ، ذلك الذي يستطيع أن يظهر خلال الأحلام في أماكن قصية ، تاركاً البدن في حالة أشبه بحالة الموت ، هو بذاته الجوهر الرّوحاني .

قيل إن الإنسان البدائي قد يتصوّر أن الروح الشَّبح شيء ماديّ . ذلك في حين أن الأستاذ « تيلور » يصفها بأنها « تصور روحاني » . غير أن وصفك « الروح الشبح » على ما أدركه البدائيون ، بأنه مادّة أو روح ، إنما هو وصفٌ مُضلِّلٌ سائق الى الخطل ، فان هذا الشيء اذا جاز نعته بهذه الأوصاف ، وجب علينا أن نصفه بأنه روحٌ ماديٌّ . ولا شك في أنّ هذا تضارب في الألفاظ وتناقض في المصطلحات ، برهاننا عليه أن الشعوب التي تعتقد في « الروح الشبح »، لم تستوعب بعد تصوُّر التفرقة بين الأشياء المادية واللاّمادية . وبالحري المادية والروحانية ، وهو تصوُّر لم يتميز في عقل الانسان إلاّ في عصور قريبة من عصرنا بعض الشيء . ومن الواضح أنّ « الروح الشبح » يُدرك بوجهٍ عام ، على أن له كثيراً من الخصائص المادّية وأنه يحتاج الى نفس الأشياء التي يحتاج إليها الروح الحالّ في البدن ، وأنه معرّض لآلام البرد والحرّ ، والجوع والعطش ، وأنه مقيد بحالات المكان والمادّة ، ولكن بصورة أقلّ مما تكون إذا تقمص البدن البشري . هذه المادّية الفضفاضة التي يتصوّرها البدائيون « للروح الشبح » ، تنمّ عنها العادات التي يلزمها كثير من الجماعات ، إذ يعمدون الى فتح ثغرة أو وقب في السقف أو الجدار في حجرة الميت ، لتخرج منها الروح المفارقة ، أو هم يركزون أنبوبة من الخيزران المجوّف في الأرض فوق الجثة المدفونة ، حتى تتمكن الروح من زيارة البدن الذي فارقته .

---

(1) Primitive Culture E-B-Tylor London 1871, especially chap. xi.

شيئان اثنان منهما نستطيع أن ندرك الصورة التي تكيّف بها المعتقد البدائي في « الروح الشَّبح » : هما الخيال والتّنفّس . فخيال كل إنسان إنما هو شيء هبائي دقيق جدًّا له بعض الشّبه بالشخص الذي يلازمه في كل صور نشاطه ، ولا يفارقه إلاّ إذا نام أو مات . وكذلك التنفس الذي يؤخذ شهيقاً ويردّ زفيراً من الأنف أو الفم ، فهو شيء مرتبط بالحياة ، فإذا حدَث حدَثُ الموت زال واختفى . وجرت العادة في بعض البقاع أن يقرّب فم الطفل الوليد من فم المُحتَضَر ، فيتلقى الطفل روحه الشاردة فتحلّ فيه ويطول بذلك عمره في هذه الحياة . وتدلنا اللغة فوق ذلك على أهمية الدور الذي تلعبه الفكرات المكوّنة في عقل البدائيين عن الخيال والتنفس مثل كلمة طيف وظل وروح ونفس (١) :

عرّف الأستاذ تيلور « الروح الشبح » تعريفاً لم نقع على أجمع ولا أبين منه ، فقال « إن تصور هذا الشيء قد انحصر في أنه جوهر رقيق غير ماديّ شبيه بالإنسان ، وأنه في طبيعته ضربٌ من البخار ، فكأنه غشاوةٌ أو خيال ، هو مبدأ الحياة والفكر في الشخص الذي يحل فيه فيضفي عليه صفة الحياة ، يستقل وحده بالوعي وبالإرادة التي يتصف بها الجسد إذا لابسه في مستطاعه أن يخلف الجسد وراء ظهره مسافات شاسعات ، وأن ينتقل بسرعة البرق من مكان الى مكان ، هو في أكثر أمره هبائي شفاف غير مرئيّ ، ومع ذلك فله قدرة طبيعية ، وقد يظهر مرئيًّا لأشخاص ما في حالة الصحو أو النوم ، كطيف منفصل عن الجسم الذي هو شبهه ، يبقى ويظهر للناس بعد موت صاحبه ، فيه القدرة على أن يدخل بدن غير صاحبه أو أبدان حيوانات ، وفيها يؤثر ويحتكم وقد يفعل نفس ذلك الفعل بالجمادات » .

منذ أن نشر الأستاذ « تيلور » كتابه « الثقافة البدائيّة » أصبحت الفكرة الروحانية موضع العناية والبحث من جانب كثير من المؤلفين ذوي القيمة ، وبالرغم مما كتب ونشر في هذا الموضوع يعتقد الأستاذ « وليم مَكدُوغَل » أن ما كتبَ « تيلور » في « الروح الشبح » وفي نشوء الفكرة فيه ، بقي ثابتاً لم تزعزعه عواصف النقد ولا محاولات التجديد. ومن رأي العلاّمة « أندرو لانج » Andrew Lang أن اهتلاس (٢) اليقظة أو تخيل الأشباح أشياء يمكن أن تكون ذات أثر بالغ في تنشئة هذا التصور . وحاول مستر « مرت » R. R. Marett وغيره من المتشيعين لرأيه أن يثبتوا وجود تصور سابق على تصوّر الروحانية ، يجعل لكل شيء في الطبيعة قوة غير معيّنة تماماً أو خصّيّة بذاتها ، فأثر ذلك في عقل الانسان البدائي تأثيراً جره الى الفكرة الروحانية . بل قالوا : إن هذا التصوّر

---

(١) وفي مصطلحات العصور الوسطى Spiritus, Anima, Animis, Pneuma

(٢) مهتلس العقل : مسلوبه (المحيط ص ٢٥٩ : ٢)

هو المصدر الذي استمدت منه كل المعتقدات التي شاعت في أرواح البشر والحيوانات والنباتات، وتصورات التجسيم في القوى الطبيعية(١) والفكرات في الآلهة والشياطين، وعلى الجملة، كل الآراء المتعلقة بالوجودات الروحانية. فمن هذا النبع صدرت كل هذه التخيلات ثم تفرعت فصارت شيعاً وضروباً. ومن رأي الأستاذ «مكدوغل» أن هذا الرأي يصح أن يكون تعقيباً على نظرية «تيلور»، لا أن يكون نظرية تحل محلها.

إن الانسان البدائي عندما عزى إلى الحيوانات والنباتات والجمادات «روحاً شبحاً» فالغالب أنه إنما خصها بذلك بالتبعية لنظريته التي كونها من تأمله في الحياة الإنسانية. جاء هذا الاستتباع بحكم الضرورة. فإن الأشخاص الذين يشاهدون في خلال الأحلام والرؤى، يظهرون ومعهم كلابهم وأسلحتهم وملابسهم وغير ذلك من متعلقاتهم المادية. والظاهر فوق ذلك تغليباً أن «الروح الشبح» في الإنسان، كان أول تصور تام وصل إليه العقل في وجود قوى ذاتية ذات ذكاء وفهم، تعيش وتعمل منفصلة عن المادة الجامدة، وعن كل ضروب الأمر في داخل موجودات بدنية. وإذا صح هذا فإن تطور الرأي في قوى من طبيعة شبيهة بالقوى الانسانية، وليست انسانية، كالشياطين والآلهة والأرواح، خيرة وشريرة، لا بد من أن يكون قد جاء بالاستتباع والتشعب من هذه الفكرة الأساسية التي كونها الانسان البدائي في «الروح الشبح» الذي يحل في الانسان.

ذاع ما يشبه الاعتقاد بذلك «الروح الشبح» في عصور مختلفة وأماكن متفرقة، فلابس صوراً متباينة. فإن بعض الهمج يتفقون مع بعض فلاسفة العصر القديم في اختصاص كل انسان بروحين أو ثلاثة أو أربعة أرواح، تختص كل منها بوظيفة معينة. غير أن ما يقع بين الشعوب البدائية الثقافة من الاختلاف والتنافر في الرأي تلقاء ذلك المعتقد، أجلى وأبين عن اتفاقهم وتساوق رأيهم فيه. والنظرية في «الروح الشبح» ذائعة كل الذيوع في كل بقاع الأرض. وهي فوق ذلك ملجأ يلجأ إليه في تعليل كثير من المعلومات والمرئيات التي تلفت انتباه الناس على مختلف ثقافاتهم. ولهذا قد نفرض، وقد نكون في فرضنا محقين، في هذه النظرية قد تكونت في عقول كثير من الشعوب وفي كثير من مختلف بقاع الأرض؛ إذ أن هذه النظرية من المطابقة لأساليب التفكير التي يأخذ بها فريق من النوع البشري البعيد من التأثر بسفسطة التصديق الصرف، ما مكنها من البقاء إلى العصر الحاضر، حتى لقد أخذت تنتقل مع المأثورات التي ترثها الجماعات الانسانية في مختلف الأصقاع وكل مظهر من مظاهر التصور البدائي الذي قام من حول هذه النظرية يمثل له عملياً واعتقادياً، بأشياء

---

(١) Anthropomophic Conceptions

لا تزال ذائعة بين كثير من أجيال أوربا السامية الحضارة . ولا يخرج عن حكم هذه القاعدة الاعتقاد بمادية الروح ، فقد يعبَّر عنه تعبيراً صريحاً بالعادة المتبعة في فتح نوافذ حجرة المحتضر وبابها ، حتى تتمكن الروح المفارقة من مبارحة المكان ، كما يعبّر عنه ذلك الوهم الجرماني الثابت ، في أن « الروح الشبح » الذي يفارق أمًّا في حالة الوضع ، قد يعود ليرضع الطفل ، وقد يضطجع بجواره فيترك أثر ثقله على الفراش .

إنَّ تاريخ تطوّر الرّوحانية في خلال الخُطا التي خطَتها الحضارة الأوربية نحو الكمال زوّدنا ببيّنات تثبت حقيقة أنه في كيان كل جماعة من الجماعات المتحضرة ، يتدفق تيّاران من التقاليد المأثورة ، أو ينبوعان من العقيدة والعادة ، ينسابان معاً وفي آن واحد ، فيتفاعلان ولا يندمجان ، هما : تيار التقاليد الشائعة الذي يغمر الأكثرين ، وتيار التقاليد الثقافية الذي يختص به الأقلّون .

في مدى الأطوار التي تقلبت فيها الحضارة الأوربية ، ظلت المعتقدات المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها غامضة منوّعة متقلبة . وبالرغم من أن التصور البدائي في « الروح الشبح » قد ظلّ ثابتاً في العقلية العامة ، خضوعاً لنفس الأسباب التي أدت الى اعتناق كثير من شعوب الهمج لهذا المعتقد على تدابر ما بينهم في الزمان والمكان ، فانه لم يصبه التغاير ولم يخضع للتطور منتحياً في تطوره طرقاً ملتوية معقدة ولم يدلف الى حيث قد عمي عليه بعض الشيء وأصابه قليل من ظلامية الفكر ، إلاّ بعد أن تناولته تعاليم زعماء الدين ، ومسته بهارج الفلسفة ، ومحاولات العلم . على أن العناصر التي تناقلتها التقاليد العامة من هذه المصادر ، كانت في أكثر الأمر منافية منطقيًّا لنظرية « الروح الشبح » . وهذه المنافاة قد أخذت ولا شك بضلع كبير في الحيلولة ، وبخاصة في مجرى التقاليد العامة ، دون تكوين فكرة محدودة مقبولة قبولاً إجماعيًّا كما خلفت نزعة شكية أو سلبية في أساسية الحياة المقبلة ، ظلت سائدة في كل العصور وعند كثير من الشعوب .

وكلما تقدمت المدنية ، زاد العياء وامتدت فوضى الفكر العام ، تلقاء هذه المشكلة العظمى حتى لقد بلغنا في عصرنا هذا مبلغاً تضاربت فيه تيارات الفكر حاملة كل ضروب الآراء والمعتقدات ، التي قتلتها الأجيال الماضية بحثاً وتنقيباً .

أما أن نحاول أن نتأثر كل الانحرافات والشعب التي انساق فيها ذلك التيار الفكري ، تيار التقاليد العامة فذلك ولا شك أمل خائب ، ومحاولة بائرة . ولهذا سأقصر همي في الصفحات التالية على تأثر تاريخ الروحانية في التقاليد الثقافية دون غيرها . سأعمل على أن أظهر ، بعد المرور بعصر الروحانية البدائية ، على أية صورة كيّفت التقاليد الثقافية هذه

الأساسية ورفهت من حواشيها ، حتى وصلت الى هذا العصر ، فكاد يلقى بها ، بعد أن جمدت على مدى الازمان الخالية في زاوية من زوايا متحف أنتروبولوجي ، لتكون هنالك مناراً للأشجان (١)

إن المؤثرات الرئيسة التي خلقت الروحانية وصوّرتها في التقاليد الثقافية ، منتزعة إياها من الروحانية البدائية ، وقذفت بها في ذلك المجرى المضطرب ، لا تعدو ثلاثة مؤثرات .

الاول — تعليم أنبياء اليهود .

الثاني — تأملات اللاهوتيين والفلاسفة في اليونان القديمة .

الثالث — جهود الآباء النصارى متأثرين بالتقاليد الثقافية المنقولة عن دنيا اليونان القديمة والتقاليد اليهودية ليكوّنوا مذهباً مفصلاً مقبولاً في الكنيسة .

* * *

للعبرانيين القدماء تصوّر في الروح يشبه في جوهره تصور « الروح الشبح » عند كثير غيرهم من الشعوب . وإنه ينبغي لنا أن نفرق ، كما قال المبجّل الأستاذ

---

(١) عاشت الروحانية في أساطير الاغارقة ، وتناقل أساطيرها الشعراء ، فقد زعموا أن ملكاً كان له ثلاث بنات سمي صغراهن بسيكي ، وبالنطق اليوناني بسوخي Psyche ، وكانت فريدة في جمالها حتى خيل للناس أنها الزهرة الهة الجمال ، فجدوها وبجلوها . فلما رأت الزهرة منهم ذلك أخذتها العزة ، فأرسلت ابنها أروس (اله العشق) ليرمي قلب بسيكي بسهم ، فيلقي بها في هوى أزرى الناس منظراً وأقدم فطرة . فلما رأى أروس جمالها شغف بها حباً . وكان أبوها يرغب في أن يزوجها فأرسل يستشير أبولون ، فكان جوابه أن لف ابنتك في كفن ، واحملها الى رأس جبل ، فقد قدر عليها أن تتزوج من وحش يرعب منظره الناس والجان . فلفت كما أمر أبولون وحملت الى رأس الجبل وتركت هنالك ، مودعة بالدموع والانات . وما كادوا يفعلون حتى هبط اليها ملاك حملها الى قصر منيف كامل الملذات من قصور الاله أروس . وكان أروس يغشاها اذا جن الليل ، ويفارقها اذا تنفس الصباح ، على غير علم منها ، فلا تراه ولا تعلم من هو . وظلت على ذلك زمناً في رغد من العيش وخفض من الحياة ، حتى اذا كان ذات يوم هبط عليها أختاها فأحفظهما ما رأتاه عندها من النعيم والسعادة ، وكان أروس قد أوصاها أن لا تسأله عن اسمه ولا تطلب منه أن تعرف من هو . ولكن أختيها قد أوحتا اليها أن هذا الذي يغشاها انما هو وحش مأواه الظلام . فلما جن الليل ونام أروس أدنت منه مصباحاً ، فاذا به أجمل الآلهة ، فهزتها النشوة ، ولم تتمالك ، فانصب بعض من زيت السراج على كتفه ، فاستفاق منتفضاً متألماً ، وتوارى عنها بعد أن عنفها وآذاها بالتعنيف . فحزنت عليه ، وهمت بأن تلقي بنفسها الى اللج ، وخرجت من قصرها تطوف البراري والقفار حتى وصلت قصر الزهرة ، فأسرت فيه واستعبدت . غير أن أروس كان بها صباً مستهاماً ، فلما عثر عليها أسيرة عند أمه ، رق لها ومضى يبث فيها العزاء والسلوى من غير أن تراه أو تحس به ، ثم استعطف الزهرة فعفت عنها ، وتزوج بها ، زواجاً لن يعقبه فراق ، ولن يناله صدع .

والمشتغلون بدرس الاساطير يذهبون بإجماع على أن هذه الاسطورة انما تدل على اعتقادهم ، أي الاغارقة بأن النفس خالدة ، تطهرها مصائب هذه الحياة وأحزانها ، حتى تحظى بالنعيم الابدي المقيم .

شارلس (١) ، بين التصور العتيق البدائي ، والتصوُّر الذي انطوى عليه العهد القديم (٢) (التوراة) . فالتصور البدائي على أن الانسان يتألف من عنصرين : روح أو نفس وجسم . والنفس مقر الاحساس والشهوة ، وبدرجة أقل ، مقر العقل ، وأنها مطابقة للشخصية . والنفس أو الروح تفارق البدن عند الموت ، فتعبر هذا العالم الى العالم السُّفلي حيث تكون أرواح الموتى : « شيول » Sheol . على أن هذا القول قد تحوَّر بعض الشيء عند غير البدائيين من الشعوب ، فقد اعتقد بعضهم ، أن الروح تظل حائمة تَطوَّف في الأمكنة المجاورة بعض الوقت بعد حدوث الموت . أما العلاقات والعادات الأرضية فكانت تتكرر في « شيول » . فالنبي يمتاز هناك بشملته ، والملوك بتيجانهم وعروشهم ، والأغلف بتلك الجُليدة المعروفة ، كذلك تمتاز كل أمة بقسماتها ، بل وبملابسها وعاداتها . زد الى ذلك أن المنتقلين الى عالم الموتى يتطبعون فيه بملامحهم التي كانوا عليها في برهة الموت . أما أرواح الأجداد فتعرف أرواح أحفادهم وأخلافهم ، وينتفعون بما يقدمون لهم من خدمة أو مواساة .

بفضل التعاليم التي أتى بها الرُّسل وتطور الفكرة في التوحيد ، بدأت الروح تنفصل عن النفس . وبالرغم من أن النفس ظلَّت الجوهر الرئيس للجسم ، ومقرَّ النشاط العقلي لم تختص بالبقاء بعد موت البدن . فبالموت تنطفىء النفس وتزول ولا يبقى إلاَّ الروح . ولكن لمَّا كانت الروح قوة للحياة غير مُشَخَّصة (impersonal) تحل في الانسان والحيوان ، فانها تعود الى مصدر الحياة الكلي (Fount of all life) فكل وجود ذاتيّ ينتهي بالموت . في تقسيم شخصية الانسان ذلك التقسيم الثلاثيّ ، تستقل الروح والنفس بعضهما عن بعض في الجوهر والأصل . فالروح هو الأصل غير المُشَخَّص للحياة والذي مصدره الله ، ومردّه بعد الموت الى الله . أمَّا النفس ، وهي المبدأ المُشَخَّص في الانسان ، فالوظيفة العليا التي تنشأ في الجسم النشيط ، وتندثر بانفصال الروح . من هنا ، واتباعاً لهذه الوجهة من النظر ، تفنى النفس عند موت البدن ، ويصبح معنى « شيول » وهو مقر الأنفس ، مرادفاً لمعنى أبَدُّوْن — (٣) Abaddon أو الدُّثور .

البقية ص ٣٠٢

اسماعيل مظهر

---

(1) A Critical History of the Doctrine of a Future Life in Israel, in Judaism, and in Christianity". by R. H. Charles, D. D. (2) Old Testament التوراة

(٣) Abaddon جهنم ، الشيطان ، الهاوية (أحط دركات جهنم) ملاك الهاوية ، الهلاك ، الفناء ، الدثور من كلمة عبرية معناها الفناء (Abad) أي destruction or annihilation ومنها الفعل العربي باد وأباد ، أبدون (في سفر أيوب في العهد القديم ٢٦ : ٦ ، والمزامير ٨٨ : ١٢ ترجمت « الهلاك » .

Same as : Apollyon and Asmodeus

الارشاد الاجتماعى

وعلى أي أساس يجب أن يقوم ؟

الدراسة التشريحية

لكل علم موضوع يختص به دون غيره ، ويبحث في مشكلاته وشتى بحوثه ، فاذا اختص الكيميائي بالاجسام وعناصرها ، والفلكي بالنجوم وحركاتها ، فبأي شيء يختص العالم الاجتماعي ؟

إنه يختص بالأحداث الاجتماعية، فما على الباحث إلاّ أن يدرس الأمور الاجتماعية ، بعد أن يترك جانباً غاياته الشخصية ، وأهواء نفسه، ليجعل هدفه ايجاد القوانين التي تسير عليها .

وقد يجد بعضهم شبهاً بين الأحداث التاريخية والاجتماعية ، وقد يظن أن موضوع العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية واحد ، مع ان لكل واحدة من هذه المعارف خصائص ومميزات .

فالحوادث التاريخية والحوادث الاجتماعية قد تتشابه كثيراً ، ولكن الخلاف بينها ينحصر في وجهة النظر وطريقة البحث . فالمؤرخ يدرس حدثاً مقترناً بالزمان والمكان ، أما الاجتماعي فيخرج من المعين إلى المطلق ، ويحلل عدة حوادث تشابهت مواضيعها ، ليأتينا بالقوانين التي تسير عليها .

وعليه فإن الأحداث الاجتماعية مستقلة عن الأحداث التاريخية والبيولوجية والنفسية .

وقد قال دوركايم في كتابه عن الانتحار « إذا كان هناك علم للأحداث الاجتماعية ، فلا بد له من أن يقوم بدرس عالم جديد ، يخالف ما تدرسه سائر العلوم ، ولا يؤبه لهذا العالم الجديد إلاّ إذا كان مكوّناً من مجموعة من الحقائق » (١)

---

(١) راجع Durkheim; Le Suicide 6-10
وراجع أيضاً علم الاجتماع الديني للاستاذ يوسف شلحت — الفصل الاول — توطئة

والحق أن الأحداث الاجتماعية حقائق راهنة ، أي إنها لا تقل في حقيقة وجودها عن الأشياء المادية . و « الشيء » في حد ذاته يمتاز بكونه لا يتغير طوعاً لارادة الانسان ، وإذا أراد الانسان أن يحدث فيه بعض التغيرات ، عليه أن يبذل بعض النشاط والجهد ، بسبب الموانع والعراقيل التي يضعها « الشيء » في وجهه . وللاحداث الاجتماعية نفس الصفة فهي لا تخضع لإرادتنا ، بل ان ارادتنا هي التي تنقاد لنا ، واذا حاولنا مقاومتها ، وأفلحنا في محاولاتنا ، فالقوات التي تضعها في وجهنا والصعاب التي نلقاها هي الدليل على استقلالها عنا .

ولا نريد أن نذهب إلى حد القول بأن الأحداث الاجتماعية هي أشياء مادية ، إذ أن القول بمادية هذه الأحداث معناه أنها كالأشياء خاضعة لقوانين محتومة بصورة تفرض على الباحث عنها أن لا يضع نصب عينيه فكرة الجبر الاجتماعي ، ولكننا نقصد إلى أن نقول إن الأحداث الاجتماعية ليس أمرها فوضى لا قياس لها تقاس عليه ، بل إنها تخضع بدورها لقانون « السببية » الذي يعرفه العلم الحديث في ميدان التجربة ، وان كان يستحيل على الباحث الاجتماعي ان يقوم بإجراء تجارب كتلك التي يلجأ إليها الكيماوي ، وهذا ما حدا بعدد من المفكرين ، ومن أشهرهم « جون سيتوارت مل » إلى القول باستحالة التجربة في العلوم الاجتماعية .

على أن الأحجى أن يقال ، إن القانون ، وهو مظهر وثمرة الفن التشريعي الدقيق ، لا يكفي وحده لأن يضطلع بصب المجتمع في القالب الفني أو النموذجي الذي يريده له المصلحون والمشترعون ، كما لا يغني وحده في أن يكون الثقاف الاجتماعي الأول لمحاربة الادواء والعلل التي تنهكه ، بمعنى أن يكون التجربة العملية الناجحة دائماً ، أو المعوّل الأول دائماً عند تنفيذ سياسات الاصلاح الاجتماعي جملةً وتفصيلاً ، ولعلنا لم ننسَ بعد تلك « الثورة » الفكرية الفذّة التي انطوت على اعتراضات فقهية لها وجاهتها ولها تقديرها بمناسبة عرض مشروع القانون المدني الجديد على برلماننا المصري ، وكيف انصبّ اعتراض جلة فقهائنا على تأكيد خطورة ذلك المبدأ الذي ينادي بأن نفزع الى سلاح التشريع كلما توهمنا أن ثمة نقصاً يعترض تراثنا القانوني في أي تقنين من تقنيناته المتعددة .

فاذا كان هذا هو الحال في ميدان هو من صميم القانون وموصول بأوثق أواصر النسب الى التشريع كعلم وفن ، فكيف به في ميدان الارشاد الاجتماعي الذي يعتمد أول ما يعتمد على إحسان سياسة التوجيه قبل اتقان مهنة التقنين ، ويعني أول ما يعني بتلقين الأخلاق الاجتماعية عن طريق الاقناع والاختيار لا عن طريق الاكراه والضغط والجبر ؟

* * *

إن الحقيقة الجديرة باعتبارنا ، والتي دلت عليها الحوادث والوقائع في مجتمعات شتى لا ينقصها أن توصف بالتحضر والرقي ، تحدونا الى أن نجعل التشريع آخر ملجأ نلجأ إليه ، بل إنها لتحثنا على أن نجعل أي تشريع من تشريعاتنا صدًى أميناً لظروفنا المادية وملابساتنا الاجتماعية وبخاصة من النواحي العقلية والنفسية والأخلاقية ، حتى لا تجيء هذه التشريعات بمثابة أثواب فضفاضة يتعثر فيها الشعب ، أو قل ألغازاً ومُعَمَّيات لا تربط بينها وبين عقلية الشعب المطالب باحترامها وتنفيذها أية رابطة من روابط الانسجام والتفاهم والاقتناع بصواب الحقائق التي تنطوي عليها هذه التشريعات ، وليس من بدع في هذا الأمر ولا غرابة ، وبخاصة إذا عرفنا أن القانون لم يخلق المجتمع البشري ، ولكن المجتمع هو الذي خلق القانون ، وتطوُّر المجتمع البشري هو الذي ساعد على تطوُّر القانون ومكَّن له من أن يستحيل الى الصور التي تلبي حاجات الجماعة البشرية وتماشي مطالبها العادلة .

اذا أدركنا هذه الحقائق كلها ، أمكننا أن نكشف السر في تقاصر كثير من التشريعات الوطنية عندنا عن تلبية مطالب الجماعات ، وبالحري في جمودها وتلاشيها تدريجاً الى حد نسيان أمرها ، بعد ما أثارت من الضجة والدويّ ساعة ميلادها وإخراجها للافراد في صورة قواعد ملزمة .

ولقد عانت مصر ذاتها هذه التجربة وستظل تعانيها طيلة فترة الانتقال التي تجتازها منذ ثورة عام ١٩١٩ . فلقد تفتحت روح القومية المصرية تفتحاً سريعاً وانبعثت تطلب آفاقاً جديدة من العيش ، فكان أن حاولت الأداة التشريعية مسايرة هذه النهضة في كثير

من مناحي الحياة ، ووفقت في بعض خطواتها على حين أنها تعثرت تعثراً ملحوظاً في بعضها الآخر ، مما يدلنا أقطع الدلالة على أن كل إصلاح لم يختمر بعد في نفسية الجماهير ولم تهضمه بعد عقلية أبناء الطبقة المطالبة بإطاعة القانون الاصلاحي الموضوع لصالحها ، لا يكون مآله إلاّ الإخفاق والفشل واستبعاده من ثبت النظم الاجتماعية التي تسير على نهجها حياة الجماعة .

إننا إذن يجب أن نطامن من تحمسنا الفائر للاصلاح الاجتماعي عن طريق التشريع ، وبالتالي ، من الايمان الاعمى بجدوى القاعدة الملزمة في تثبيت أقدام الارشاد الاجتماعي وتقوية معنوية المرشدين . وأحجى بنا وأولى أن نكوّن العقلية الاجتماعية المستنيرة من طريق التدرج الوئيد الذي تمليه طبائع الأشياء في نطاق الاجتماع ، من أن نحاول الطفرة بأفراد الشعب الى حد الكبوة به بصورة قد يستحيل بعدها إقالته من عثرته أو تخليصه من كبوته ، فضلاً عما يتخلف في نفسية الجماهير من جراء ذلك من سوء ظن بالمشرّعين وواضعي القوانين .

على أن هذه الحقائق كلها ليست بحائلة دون البدء في دراسات فقهية اجتماعية مقارنة يتوفر عليها نخبة من المتضلعين من الدراستين القانونية والاجتماعية، ويتم اعدادها وتحضيرها في جوّ التعاون المشترك ، ولنحاول بدراسة المشكلات التي نشعر أن عقلية الشعب قد بلغت إزاءها حدًّا من النضج والفهم يجعلها سهلة التقبل لكل إصلاح يأتيها عن طريق التشريع

***

ولقد توفرت وزارة الشؤون الاجتماعية بالفعل على اعداد طائفة من هذه الدرسات ، تتعلق بالطفولة المشرّدة والابوّة غير الجديرة بحماية أبنائها وبمشكلات الطلاق وتعدد الأزواج الى غير ذلك من الدراسات التي بلغ بعضها درجة عالية من التجديد والاتقان، لولا ما شاب بعضها من روح التسرع المسيئة التي أشرنا إليها ولولا ما يؤخذ على بعضها الآخر من تخاذل الدراسة الاجتماعية أو تخلفها عن مسايرة الدراسة الفقهية جنباً الى جنب ، كما يلم المشرّع ، وهذا أمر من الاهمية بمكان ، بروح الموضوع من الناحية الاجتماعية وحقيقة

العقد التي يجب عليه معالجتها وحلها ، كي يستطيع أن يحكم بعد ذلك على مدى جدوى الثوب التشريعي في إعداد المشروع وإخراجه الى حيز الوجود .

* * *

لهذا أرى — ويرى معي الكثيرون — أن تكون الرابطة التي تربط بين أداة الدراسة الاجتماعية ، ممثلة في ادارة الارشاد الاجتماعي ، وبين أداة الدراسة التشريعية ممثلة في ادارة البحوث الفنية والتشريع ، على أقوى ما تكون الروابط ، بل إني لأذهب إلى أبعد من ذلك فأنادي بوجوب إدماج كل من هاتين الادارتين في ادارة كبيرة شاملة تتولى العملين جميعاً وتنهض بعبء العمل من بدايته الارشادية إلى نهايته الفقهية العلمية . وهنا سيظهر لنا ان التفاعل بين الحقائق الاجتماعية في محيط الحياة العملية ، وبين الحقائق التشريعية في أدق صورها العلمية والفنية ، حقيق أن يكشف لنا عن آفاق جديدة من الاصلاح تجيء أكثر مسايرة لوضعية الحياة القومية المصرية ، من هذه المحاولات الاصلاحية العرجاء التي لا يكاد يجمعها جامع أو يربط بينها رابط .

ولا زلت أقول إن التخصص مفقود ، أو يكاد يكون مفقوداً في إدارة الارشاد والحال كذلك في قسم التشريع الحالي بادارة البحوث ، إذ أن تنظيم الوضع الجديد المقترح لا يمكن أن يؤتي بثمرته المرجوّة إلاّ بواسطة تكثير عدد الاخصائيين في كل من فروع الادارتين واستبدالهم بغيرهم من غير المتخصصين الذين يعملون فيهما

* * *

وإلى هنا تنتهي فصول البحث ، وقد راعيت فيها مجانبة الحشو العلمي ، والتفصيلات المرهقة كي أخلص منها إلى صورة لعلها تكون أقرب إلى الموضوع في أذهان القراء ولعلها تجعلهم بعد ذلك يؤمنون بخطورة مشكلات الارشاد الاجتماعي وبخطورة موضوع الاصلاح الذي يجيء عن طريق الارشاد .

جمال الدين حمدى

رئيس الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

تمثيلية للكاتبة الفرنسية «ماري مندرون»

چيزيل

ابنة الامبراطور شارلمان

نقلتها الى العربية واعدّتها تمثيلية
الآنسة : نعمت حسني

الأشخاص

فردیناند : من أبناء النبلاء في البلاط الامبراطوري
أدولف : » » »
شارلمان : الامبراطور
چيزيل : ابنة الامبراطور شارلمان
فرانسوا : من حاشية الامبراطور المقربين
هارالد : قرصان وثني
اليزابيت : ابنة الامبراطور شارلمان الثانية

في البهو الامبراطوري

فردیناند : ألا ترى يا أدولف ، أن الامبراطور قد أصبح قلقاً مضطرباً في هذه الأيام؟

أدولف : نعم .. لقد لحظت عليه ذلك يا عزيزي فردیناند

فردیناند : إن الامبراطور شارلمان ، الذي أنفق ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره حتى الآن وهو يحكم مملكته العظيمة . . ملك أعنة المجد . . وبلغ من الفخر غايته ...

أدولف : فأتى يقيم في هذا القصر ، طلباً للراحة لمدة من الزمن . . أليس كذلك ؟

فردیناند : عفوك يا عزيزي . إن الامبراطور ، قد أتى الى قصر الجوميج . . لأنه اعتزم الاقامة به .

أدولف : اذن فهذا القصر القائم بالقرب من الدير . . والذي تشرف أسواره الضخمة ، على نهر السين . سيتخذه شارلمان مقره الجديد .

فرديناند : هو ما تقول ، فان الحياة في هذا القصر تلذ للامبراطور ، ويطرب لها . . غير أنه أصبح قلقاً مضطرباً ، من رؤية تلك القوارب الكبيرة التي تمخر عباب البحر . وكأنما هي تطير فوق المياه ، في خطوط منظمة وقد جلس فيها الجدّافون صفين . . .

أدولف : أنها قوارب فريدة في نوعها . . لها قوادم غاية في العلوّ . لا تنال نهايتها الامواج مهما تعاظمت . وقد نقشت أعالي هذه القوادم ، على هيئة رأس حيوان التنين . . رمز الوثنية .

فرديناند : إنك لا زلت حديد البصر ، كعهدي بك يا صاحبي . . أرأيت أيضاً ، أن هذه القوارب ، لها قلوع بيض جميلة . . بعضها مخطط بالأحمر الأرجواني . . وبعضها مخطط بالأزرق السماوي ؟

أدولف : أجل ، ورأيت أيضاً ، ذلك البريق الذي يأخذ الأبصار ، عند ما تنعكس الشمس على دروع الجدّافين المتقاربين .

فرديناند : كفى يا عزيزي . فربما أتى الامبراطور على حين غرّة . . فيسمع مايدور بيننا ، عن أولئك الرجال الذين يثيرون غضبه . . .

أدولف : لقد كان بالأمس في حالة شديدة من الغضب . وهو ينظر من هذه الشرفة . . وقد استند الى حافتها بقبضتي يديه المرتعشتين . . وكان الكل من حوله سكوتاً . . حتى الأميرة جيزيل ابنته . . .

فرديناند : آه . جيزيل ، ذات الغدائر الذهبية الطويلة . . إنها أعزّ أخواتها على أبيها . . لله ما أجملها ، وما أبهاها . . آه ! اني أتمنى

أدولف : على رسلك يا فرديناند . . كنت من ساعة تنصح لي أن أكون حذراً ، وأنا أتكلم عن أولئك الرجال الذين أتوا يزاحمون الامبراطور في بحاره . فما بالك الآن ، تسرف في الكلام عن إبنته ، غير عابىء بما في ذلك من

الخطر الشديد .

فرديناند : وأي خطر في ذلك ؟

أدولف : ألم يصل الى علمك أن الامبراطور يغضب غضباً شديداً ، إذا علم أن رجلاً ينظر الى إحدى بناته ؟

فرديناند : حتى ولو كان من أبناء النبلاء ؟

أدولف : بل ولو كان ملكاً متوَّجاً . فهو يؤثر ألف مرة ، أن تهب ابنته نفسها للدير من أن يراها من ربات التيجان .

فرديناند : إن كان ما تقول ، فاني أخاف أن يتبدَّل حبي وتقديري لذلك الرجل .

أدولف : صه ، يافرديناند . والأفضل لنا أن نتكلم في أمور خاصة بنا . لئلاَّ يباغتنا الامبراطور . أرأيت! ها هوذا مقبل علينا من بعيد . فلنصلح من شأننا ما استطعنا . فهو يحب أن يكون أبناء النبلاء ، حسني الهندام .

فرديناند : آه ! وها هي جيزيل بصحبته . (صوت خطوات تقترب)

شارلمان : فرديناند . أدولف . أرى عليكما أثر الاهتمام . ويغلب على ظني ، أنكما كنتما تتكلمان عن أولئك المحاربين الأخساء الجافين .

جيزيل : أبي ! يجب أن نضع حداً لهذه الحال . إن أولئك الرجال ، على ضآلة شأنهم ، أوشكوا أن يسببوا القلق لجميع من في القصر .

شارلمان : لقد أصدرت أوامري بالأمس ، الى بعض من أثق بهم ، ممن لهم دراية وخبرة ، باقامة الكمين . لأسر ولو رجل واحد ، من أولئك الرجال . فربما حدَّثتهم أنفسهم ، واقتربوا بمراكبهم من السواحل في سكون الليل .

جيزيل : وهل نجحت الخطة يا صاحب الجلالة ؟ هل وقع واحد منهم في الكمين ؟

شارلمان : نجحت الخطة ياصغيرتي . ونجحت الى حدٍّ بعيد . فقد وقع في الكمين رئيس الجماعة ، وأخذناه أسيراً ، واسمه هارالد . هيا ، فرديناند . هيا ، أدولف ستشاهدان بعد قليل ، هارالد الوثني وهو يعرف الانسان

الفرنسي . فقد لقنه إياه رجل فرنسي ، وقع في أسر أبيه ، كما يزعم .

فرديناند . هل ننتظر أوامر يمليها علينا صاحب الجلالة الامبراطورية ؟

شارلمان : لا ، مكانكما يا صديقي . فبعد لحظة ، سيزدحم هذا البهو الكبير ، بعظماء البلاط الامبراطوري . وسيتقاطر رهبان الدير الى هنا . بعد ان ذاع خبر وقوع هارالد ، ذلك الذي يدّعي لنفسه امارة البحر ، وهو بعد ، ليس إلاّ أفّاقاً من الشمال ، ذلك الڤيكنج ، كما يسميه بعضهم . والنورماندي كما يسميه البعض الآخر . فالكل يريد رؤيته . (صوت جلبة وأقدام)

الاصوات معاً : عاش الامبراطور شارلمان .

شارلمان : خذوا أماكنكم يا سادة . تقدَّم هنا ، يا فرانسوا . تكلم . هل رأيت السجين ؟

فرانسوا : نعم يا مولاي . رأيته عندما اقتيد الى السجن . وهو شاب في مقتبل العمر . كبير الجسم ، متين العضلات ، جميل المحيا . وكان يحاول التملص من حراسه ، وقد بدت عليه سمة التوحش والكبرياء . أشبه بفهد صغير وهو ينظر فيمن حوله ، بعينيه الزرقاوين ، وكأنما الشرر يتطاير منهما .

شارلمان : هل بلغتهم أمري .. إني أريد أن أراه وأكلمه في الحال ؟

فرانسوا : نعم ، يا مولاي .. وسيأتي بعد قليل ، مكبلاً بالسلاسل والأغلال ... (صوت جلبة)

شارلمان : إني أسمع جلبة .. لعله هو .. آه ؟ نعم .. ها قد أتى . (بغضب وقد رأى هارالد مقبلاً عليه) أنّى لك هذه الجرأة ، فتأتي أنت وأتباعك ، لمناهضتي في بحاري وأنهاري ؟ ألا تعرفون اسم الامبراطور شارلمان ؟! ألا تعلم أني السيد المطلق ، على هذه الممالك الشاسعة ؟

هارالد : (بهدوء) أنا ملك البحر ، ومملكتي أكبر من ممالكك جميعاً .

شارلمان : إنني أحكم رجالاً كثيرين ، يخطئهم العد .

هارالد : أنا أسيطر على الأمواج — وهي أكثر عدداً وكثرة ، من رجال الأرض جميعاً .

شارلمان . ألا تعرفون عندكم ، أني أخضعت اللومبارديين ، وأخذت تاجهم الحديدي .. وكذلك أخضعت الباڤاريين والآڤاريين وأهل اسبانيا . وإني جعلت من الساكسونيين نصارى ، وأنزلتهم على حكمي ؟

هارالد : لقد جعلت الأمواج تنحني لقواربي ، وهي خاضعة ذليلة .. وانقادت العواصف لأوامري وتصرُّفي .. فأنا سيد الزوابع والهواء .. وأنا أعزّ منك سلطاناً .

شارلمان : (هاجماً عليه) هيا أغرب عن وجهي .. وإلاَّ قتلتك في الحال .

هارالد : (هاجماً على شارلمان) سأحطم رأسك بهذه السلاسل .

جيزيل : (بجزع) أبي ! (لهارالد) كيف تهجم على مولاك ، أيها التعس ؟

هارالد : سيدتي ، إني آسف .. ويؤلمني ان هذه السلاسل ، قد مسّت شعرك الجميل .. وهي غلطة أشعر منها بالخجل .

شارلمان : (متهكماً) حسن . هارالد ، امبراطور ! امبراطور الزوابع وملك الهواء . تحت سطوتي وتصرُّفي .

هارالد : ليس في مقدورك غير قتلي .

شارلمان : أقدر على أكثر من ذلك .. سأحتفظ بك مكبلاً بالسلاسل .

هارالد : إذا صاد أحدنا طائراً متوحشاً .. فليتأكد أنه سوف لا يحتفظ به طويلاً .. وأن الطائر سوف يعود الى الحرية ..أو يحطم رأسه على قضبان القفص .

شارلمان : هذا جميل .. إذن ، عد الى السجن .. وحاول ان تفلت منه .

موسيقى

جيزيل : (وقد رأت فرانسوا مقبلاً عليها باهتمام) آه ! هذا أنتْ يا فرانسوا .. أوراءك شيء من الأخبار ، أيها العجوز ؟ .

فرانسوا : أتود مولاتي ان تسمع أعجب الأخبار ؟

جيزبل : بلا شك . . على أن تكون أخباراً صحيحة . . ليس فيها شيء من المبالغة .

فرانسوا : عفواً . . هل قصصت يوماً على مولاتي شيئاً خلاف الحقيقة ؟

جيزبل : إذن هيا حدثني عن تلك الأخبار ، التي تسميها عجيبة .

فرانسوا : إنما أريد أن يبقى ذلك سرّاً بيننا ، يا مولاتي !

جيزبل : أعدك بذلك .

فرانسوا : لقد فرّ هارالد الفيكنج . . وقد وجد باب السجن السندياني العظيم ، مفتوحاً على مصراعيه . كما وجدت الأغلال الحديدية ، على عتبة الباب . وكأنه يروم بصنيعه هذا . الاستهزاء والسخرية .

جيزبل : (بصوت خافت) هرب . يا رحمة السماء . (لفرانسوا) وماذا قال الامبراطور عند ما علم بهذا الحادث ؟

فرانسوا : غضب غضباً شديداً . وأمر بالبحث عن الهارب ، وقتله أينما عثر عليه . وان لا يذاع خبر هربه إلاّ بعد القبض عليه .

جيزبل : إنه حادث غريب ، كما تقول . ولكن ، هل تظن إنهم سوف يعثرون عليه ؟

فرانسوا : لست أدري . بل يغلب على ظني ، إنهم لن يعثروا عليه أبداً . لقد سمعت أموراً غريبة ، عن أولئك الفيكنج .

جيزبل : وماذا سمعت ؟

فرانسوا : سمعت إنهم أتوا من بلاد بعيدة في الشمال . تحيطها أسوار ضخمة من الثلوج البرّاقة . وإنهم يعرفون أغنية يغنونها إذا أرادوا طي الأمواج ، حسب هواهم . وأغنية أخرى ، تفتتن بها الزوابع فتخضع لسلطانهم .

جيزبل : لا ريب أن تشاع مثل هذه الأقاويل ، في أحوال كهذه . والآن هيا اذهب إلى شقيقتي الأميرة اليزابيت . وقل لها إني أود أن أراها . وإني منتظرة هنا .

فرانسوا : سمعاً وطاعة ، يامولاتي . سأذهب في الحال (يخرج)

جيزيل : يا الهي ! مالي أشعر بالخوف . أليس من الخجل ، بل من المدهش ، أن أشفق على حيـاة هارالد ، عابد الأوثان ، الذي اجترأ على أبي ؟ إني لأشعر أن وجهي يحمر خجلاً . وكم أتمنى ألاّ يعثروا عليـه أبداً ! . فلأتلون صلاتي ، وليحفظ الله قلبي بعيداً عن الشطط (ضجة خفيفة) يا الهي ! ماذا أرى . هارالد !

هارالد : لا تنصرفي يا سيدتي الجميلة . فما أريد بك سوءًا .

جيزيل : ولـكن ماذا جاء بك هنا ؟ ألا تعلم ان والدي يبحث عنك ليقتلك . فلماذا لم تهرب ؟

هارالد : لقد هربت .

جيزيل : إذن ، لماذا عدت الآن ؟

هارالد : أردت أن أراك . أردت أن أقول لك مرة أخرى ، إنه أحزنني ما بدر مني . وإني عند ما عدت الى سجني ، في تلك الليلة ، لمحت خيطاً حريريًّا من شعرك الذهبي الجميل ، ملتفًّـا حول أغلالي الحديدية ، ممـا سبب لي الخوف . وجعـل عيني الجريئتين ، تعرفان معنى الخجل ، وهما تتواريان تحت أجفانهما . أردت أن أقول لك أيضـاً يا سيدتي : إني سأبقى طول حياتي محتفظاً بذلك الخيط الحريري الثمين .

جيزيل : قلت لك اهرب يا هارالد . اهرب في الحال وإلاّ قتلت .

هارالد : لا أستطيع . أريد أن أبقى قليلاً . فقد بهرني جمالك في هـذا الثوب الأبيض الضافي . وهـذا الأزار الموشى بالذهب . ثم ما أجمل غدائرك الذهبية المسترسلة . ماذا ! أتعقدين أطرافها بأحجار الزمرد . لله ما أجمل هاتين اليدين البضتين ، وبينهما هذا الـكتاب ذا النقوش الذهبية .

جيزيل : هذا هو الـكتاب المقدّس .

هارالد : أرنيه يا سيدتي . من يكون هذا الطفل المسكين ، الراقد فوق القش . ولِمَ هو عارٍ ؟

جيزيل : هذا هو المسيح . . وقد ولد بائساً ، ليكون عزاء المستضعفين .

هارالد : أما آلهتي أنا فانهم أقوياء . لديهم الاسلحة الحديدية . ولهم خوذات من الذهب ، تلمع فوقها أحجار ثمينة بلون البحر . وثيابهم من نسيج الذهب والفضة . وهم أقوى من العاصفة . وأجمل من السحب عند الغروب . أما أصواتهم ، فهي ما يترامى الى أسماعكم . تسمعونها اثناء الزوابع . خلقت أصباح الصيف الجميلة ، من بسماتهم . إنهم ليسكنون قصراً أبوابه من خالص الذهب ، وأرضه من أحجار الزمرد . واذا أرادوا الهبوط الى الأرض ، وصلوا إليها وهم يمشون بأقدامهم المقدسة ، على قوس قزح . إني لأشفق على إلـهك المسكين .»

جيزيل : كفى يا هارالد . قلت لك اهرب . إني أسمع وطء أقدام .

هارالد : حسناً . . سأختفي من هذه النافذة التي أتيت منها . الى اللقاء يا سيدتي الجميلة .

جيزيل : آه ! لم يخطىء حدسي فقد كنت أشعر بوجود هارالد ، حولي في كل لحظة . (صوت أقدام) .

اليزابيت : آه ! جيزيل . أسعدت صباحاً يا عزيزتي . لقد أخبرني فرانسوا إنك هنا في انتظاري . ولكني أبطأت عليكِ قليلاً . فقد كنت في جدال مع الأميرة مادلين .

جيزيل : لقد كنت أشعر بالملل والسأم من كل شيء . فأرسلت إليكِ . ولكن فيمَ كنتما تتجادلان ؟

اليزابيت : كنا نتكلم عن ذلك الڤيكنج ، الذي وقع في أسر أبي .

جيزيل : وهل علمتما عنه شيئاً جديداً ؟

اليزابيت : لا ، إنما كانت مادلين تقص عليّ أموراً غريبة ، سمعتها من مربيتها عن أولئك الڤيكنج ، وبلادهم وحياتهم . وهي قصص لا يكاد يتصوّرها العقل .

جيزيل : لقد سمعت أنا أيضاً ، مثل هـذه الروايات الغريبة . ولـكني أرى انها روايات مختلقة ، لانصيب لها من الصحة .

اليزابيت : ولـكن ، ألا ترين معي ، أن جرأة هارالد الوثني ، لا مثيل لهـا . كما أن جماله عجيب يفوق حد الوصف ! انه أجمل من أي أمير رأيتـه حتى الآن . آه ! مالك يا جيزيل . فيما تفكرين ؟

جيزيل : لا شيء . إنما أنظر الى السحب الذاهبة نحو الشمال . (صوت وقع أقدام)

فرانسوا : سيدتي الأميرة اليزابيث . عفوكما . فقد أكون قطعت عليكما الحديث .

جيزيل : ما وراءك من الأخبار ، يا فرانسوا ؟

فرانسوا : خبر سار . لقد تعطف مولاي الامبراطور وأمر بإقامة حفل صيد في الغابات القريبة من البحر .

جيزيل : ومتى يقام هذا الحفل ؟

فرانسوا : في الغد يا مولاتي . وسوف يشهده جلالة الامبراطور .

اليزابيت : آه ! هذا حسن . هل أخبرت الأميرة مادلين ؟

فرانسوا : لا يامولاتي . لم أخبرها بعد .

اليزابيت : اذن . سأذهب إليها أنا لـكي أخبرها بذلك . أكبر ظني انها ستفرح وتطرب بهذا الخبر ، أيما طرب .

جيزيل : سأعود إليك بعد قليل . (تخرج)

فرانسوا : هل تأذن لي مولاتي ، بالذهاب ؟

جيزيل : نعم ، اذهب يا فرانسوا (يخرج) لو أتيح لي أن أرى هارالد في الغابة ! قلبي يحدثني بأنني سأراه هناك غداً . إن خوفي من لقائه ، يفوق شوقي لرؤيته .

موسيقى

(صوت الأبواق من بعيد . ثم صوت جواد يعدو . ثم يمشي على مهل)

جيزيل : ما أجمل هذا المكان المنفرد من الغابة . آه ! وهذه الأشجار الكبيرة ! أخاف أن أكون قد أبعدت كثيراً عن الجماعة ، وأنا أطارد تلك الوعلة الملعونة ، التي اختفت فجأة . آه ! ماذا أرى . من يكون هذا الفارس . هارالد ! ما أحوجني الى الشجاعة (صوت جواد يعدو ثم يتمهل)

هارالد : جيزيل ! لا عليك . تعالي . اتبعيني (صوت عدو الجوادين)

جيزيل : لقد ملأت قلبي رعباً . كفى يا هارالد . لقد أبعدنا كثيراً . وأصبحنا بالقرب من الشاطىء .

هارالد : كما تودين . ولنترجل عن جوادينا (ويترجلان) هل ترين ذلك القارب . انه قاربي . وهو في انتظاري . جيزيل ! اتبعيني الى مملكتي .

جيزيل : لا أقدر . ولا يمكن لي أن أترك أبي

هارالد : بل تعالي معي . يكن البحر مملكتك . وأحبك كما أحب الآلهة .

جيزيل : لا أستطيع

هارالد : بل اتبعيني . وإلاّ حملتك قسراً .

جيزيل : دع يدك يا هارلد . فقد آلمتني

هارالد : آسف . والتمس صفحك عما بدر مني . (لحظة)

جيزيل : هارالد ! ماذا بك ؟ .

هارالد : لقد مسّت جدائلك يدي . وأنا أقبض على معصميك الآن . فتذكرت يوم رأيتك للمرة الأولى . جيزيل ! أإذا أصبحت مسيحيًا وآمنت بالهك فهل يوافق أبوك على زواجنا ؟

جيزيل : لا أظن . فهو لا يقبل ان يقدم للمسيح نفساً ، عن طريق الغواية . فارحل ودعني يا هرالد . لقد كتب علينا ألاّ ننال سعادة العيش معاً .

هارالد : جيزيل ! لقد هيمن حبك على قلبي وعقلي . وبت لا أرى في العيش معنى بغيرك .

جيزيل : آه ! ما كنت أحسب أن الحب يعصف بالقلوب بهذه القوة .

هارالد : جيزيل ! في استطاعتنا ان نسعد بالحب . فلم نجعله سبب شقائنا . هيا اتبعيني يا جيزيل . اتبعيني الى حيث تنتظرنا السعادة .

جيزيل : كيف أسعى الى السعادة ، وأخلف من ورائي أباً حزيناً ، يذكرني باللعنة حتى الممات . أيجوز لي أن أطعن قلب أبي ، ذلك الشيخ العظيم في سبيل حبي وسعادتي ؟ . إذن ، فليبق هنا جسدي ، أما قلبي فهو معك . فارحل يا هارالد.

هارالد : لا ، بل سأبقى ، لكي أقتل ذلك الرجل الذي يزوّجونك منه.

جيزيل : لن أكون زوجة لرجل على وجه الأرض . بل سأكون راهبة في أحد

الأديرة . أناجيك في عزلتي . أناجيك وقت السحر . وأستقبل نسيم الصبح على ذكراك ، الى أن أغمض عيني للكرى . فارحل يا هارالد . ارحل

هارالد : ولكني لا أريد الرحيل . أريد أن أموت وأنا بالقرب منك .

جيزيل : أتوسّل إليك (صوت النفير من بعيد . فتقول له بجزع) هارالد . هيّا اركب القارب . فاني أخاف عليك .

هارالد : ولكني لا أقوى على الرحيل . ان نظراتي لا تستطيع أن تتحوّل عنكِ .

جيزيل : أتوسل إليك . أيرضيك أن أركع عند قدميك ؟ .

هارالد : سأذهب . سأعود الى حياة البحار . حياة الزوابع والحوادث . وسأصبح معروفاً بالرئيس ذي العينين القاسيتين . الذي لا يحب الكلام . . ولا يبتسم أبداً .

جيزيل : اما أنا . فاذا عدت الى قصر الجومبيج . فسأركع أمام أبي الامبراطور . ليأذن لي بالترهب . وسأعيش بقية حياتي ، في أحد الأديرة : منقطعة عن العالم . أبكي سعادتي المفقودة .

هارالد : وسيصبح هارالد الفيكنج ، ولا تعرف السعادة الى نفسه سبيلاً . لأنه التقى يوماً بجيزيل ، إبنة الامبراطور شارلمان ، والتفّ خيط من شعرها الذهبي ، حول معصميه . والآن ، دعيني أقبلك قبل أن أرحل عنك الى الأبد (لحظة) جيزيل ! دعيني أنظر الى عينيكِ مليّاً .

جيزيل : كفى يا هارالد : هيّا اركب القارب . لأعود أنا الى الجماعة . قبل أن يلحق بنا أحد . اذهب وليحرسك الله .

هارالد : وداعاً يا جيزيل . وسأناديك من بعيد ، كلما جنّ الليل وساد السكون . سأناديك بكل قوتي ، وأنا أنظر صوبك . فاسمعي جيداً الى صوتي ، إما مختلطاً بأرق النسمات . وإما متغلغلاً في هزيم الرعد وقاصف الهواء . . سأجعل إسمك أهزوجة يترنم بها الهواء في جوف الليل . فوداعاً يا جيزيل .

جيزيل : وداعاً يا هارالد .

موسيقى

نعمت حسني

طليطلة

أتيحت لنا أثناء اقامتنا بمدريد فرصة زيارة بعض ما يحيط بها من الضواحي القريبة منها كالاسكوريال ومدينة طليطلة لقضاء سحابة يوم كامل في كلٍّ منهما حسب الخطة الموضوعة بمعرفة قادة البعثة والمختصين بوزارة الخارجية الاسبانية . وقد كنا نتمنى أن تطول اقامتنا في كل بلدٍ نزورها لنكون أكثر تعرُّفاً بها وبمعالمها وآثارها ، إلاَّ أن ضيق الوقت وارتباطنا بعودة الباخرة جعلنا نخصص لطليطلة يوماً واحداً ، ومع ذلك فان أتركك تسبح في خيالك لتتصوَّر هذه المدينة العربية ، وترسم لها صورة قد تكون غير حقيقية ، اعتماداً على ما قرأته عنها أو ما سمعته من أخبارها . بل سأقص عليك ما شاهدته فيها بدون مبالغة لتحكم بنفسك على حقيقتها . وبالرغم من ضيق الوقت وكثرة معالمها الجديرة بالزيارة — كما علمنا بعد — فقد أمكننا الالمام بالشيء الكثير عنها .

ففي صباح اليوم الثاني من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ تركنا منزل ماير سيزار كارلوس Colegis Mayor Cesar Carlos مقر سكن طلبة الجامعة بمدريد الذي نزلنا فيه مدة إقامتنا بهذه المدينة ، ويممنا نحو الجنوب شطر طليطلة وكان علينا أن نقطع سبعة وأربعين ميلاً لنصل إليها بعد ساعتين تقريباً .

فاخترقنا أحياء مدريد الحديثة وشوارعها المقسمة المنظمة على أحدث النظم ، وقد بلغ عرض بعضها — كالشارع الكبير Grand Via — نحو المائة متر ، في حين أن شارع فؤاد الاول بالقاهرة — الذي يعد من أعظم الشوارع عندنا — لا يصل عرضه الى ثلث هذا القدر .

سرنا في هذا الشارع الكبير في القسم المخصص للسيارات حتى أصبحنا على أبواب مدريد الجنوبية . فتقدمت المنازل المحيطة به وتناثرت (الفيلات) على جانبيه وتباعدت

المسافات بينها حتى تركنا مدريد وراءنا لمسافة طويلة . وتوسطنا هضبة الموبتا التي ترتفع عن سطح البحر أكثر من ألفي قدم .

مررنا في طريقنا المرصوف المتسع وسط حدائق الكروم والخرنوب وحقول الحبوب وغيرها ، وكانت تتراءى لنا من حين لآخر بعض الوديان والجبال بتربتها الحمراء التي فتتتها عوامل التعرية من الصخور التي تحتها . ثم ما لبثت هذه الجبال أن ازدادت بالقرب من طليطلة . وتحتل هذه المدينة نفسها منطقة مرتفعة من الصخور الجرانيتية التي استعملها السكان في بناء دورهم وقلاعهم .

عبرنا نهر التاجة الذي يمر بشمال المدينة فوق قنطرة تعرف بهذا الاسم ، يرجع بناؤها الى عهد العرب . وتهادت سيارتنا في سيرها مجتازة شوارع طليطلة حتى وصلت الى ميدان كبير يتوسط المدينة .

هبطنا منها مع رفاقنا الأسبانيين فرحين مستبشرين بزيارة بلد عربي في مظهره وإن اختلفت لغة ودين سكانه متحد في مبانيه وان اختلفت في طرزها من مكان لآخر .

في الشوارع العامة والميادين الكبيرة نجد المباني الشاهقة ، مقامة على بوائك ضخمة تعلوها دور السكن بشرفاتها ومشربياتها ، وتحت هذه البوائك محال التجارة والمقاهي . وتشبه هذه الشوارع في نظامها شارع محمد علي بالقاهرة وما ذلك إلا أثر معماري خالد من عهد العرب في العصور الوسطى انتقل معهم من الشرق .

بينما نجد في الأحياء الأخرى الشوارع الضيقة الملتوية المرصوفة بقطع كبيرة من الأحجار أقيم على جانبيها جدر دور مرتفعة ، قليلة الفتحات الخارجية (من نوافذ وشرفات) وان وجدت فتحجبها مشربيات من الخشب الخرط حتى لا يتيسر للمار رؤية من يطل منها من أهل الدور ، في حين أن هذه الفتحات كثيرة في الداخل ، وتفتح جميعها على أفنية داخلية كما في قرطبة وغرناطة ، وهي المناطق العربية التي تركز فيها حكم العرب عدة قرون . ولا غرو فان طليطلة كانت تحت الحكم العربي زهاء الاربعة قرون ، استعرب خلالها ما تبقى من سكانها من اليهود والمسيحيين واتخذوا عادات العرب ولغتهم ، واندمجوا مع الفاتحين ، ونتج من هذا المزيج الجديد حضارة ازدهرت في عهدهم ، لم تبلغ شأواً مثل ما بلغته في عهد العرب .

ولقد ترك العرب آثارهم في الأرض والسكان مما جعل لأسبانيا طابعاً خاصًّا يميزها عن بقية البلاد الأوربية . ويظهر هذا الطابع بصورة واضحة بصفة خاصة في آثارها الرائعة بطليطلة . ولقد شهد بذلك الاسبانيون أنفسهم فيقولون ، إن طليطلة مثل صادق للآثار التي تركها العرب في أسبانيا سواء في المباني أو في المرأة .

وجولة صغيرة خلال شوارعها تتيح لك الفرصة للتحقق من الجمال الفني والطبيعي وخاصة في النساء كما ترى في الشكل رقم (١)

فقد احتفظت المرأة الاسبانية بدقة التقاطيع العربية كالأنف الطويلة والعيون السود الواسعة والشعر الفاحم مع أنوثة فياضة وجاذبية ساحرة ، كما ورثت من العرب لون البشرة البيضاء المشوبة بحمرة خفيفة تزداد قليلاً إذا خجلت فتكسبها خفة ودلالاً عجيباً — هذا إذا رأيتها في الشارع دون أن تكلمها. أما اذا تجاذبت معها أطراف الحديث حدثتك بوقار وفي حياء محتفظة بعاداتها وتقاليدها الشرقية . ولا يتسع المجال الآن للكلام عن المرأة الاسبانية بإسهاب ، إذ أن هذا يطول شرحه . وإنما أكتفي بهذا القدر الآن عن المرأة الاسبانية . لأنها أول ما يلفت نظرنا أثناء تجوالنا في شوارعها ونحن في طريقنا الى القصر أو الكزار . والكزار اسم عربي يطلق على قصور في مدن مختلفة بأسبانيا . ففي أشبيلية (الكزار) وفي طليطلة (الكزار) الذي نحن بصدده الآن .

سرنا نحو الكزار في طرق ضيقة ملتوية أخذت في الارتفاع تدريجيًّا الى مرتقب عال يعدّ أعلى بقاع طليطلة . ولما أشرفنا على هذه المنطقة هالنا أمر كنا لا نتوقعه إذ وجدنا أنفسنا نرتقي خرائب وأطلال بقايا بناء ضخم تناثرت هنا وهناك ، كأنما قاذفات القنابل الثقيلة بالتعاون مع مدافع الهاون قد دمرت بعض هذا البناء تدميراً ، في حين صمد البعض الآخر ليشهد عدوان المغيرين .

ظننا أول الأمر أننا عابرين منطقة خربة قديمة الى جهة أخرى لنصل الى الكزار فيما بعد . وبينما نحن في طريقنا إذ وجدنا أنفسنا أمام باب ضخم ، وطلب منا دخول الكزار لمشاهدة أروقته الباقية وآثاره الداخلية . فدهشنا من أمره وعلت وجوهنا حيرة ، وأخذنا نتساءل في لهفة عن حقيقة سر الكزار .

وأمام هذا الأثر الخالد أخذ زميلنا الاسباني (كاستيلو) يقص علينا قصته. واليك أمرها: نشبت الحرب الأهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ بين الاسبانيين الملكيين والشيوعيين الحمر كما كانوا يسمونهم ، وليس بخاف على أحد انتشار عدوى الشيوعية في البلاد وأثرها الخطير في التغلب على النظم القائمة حتى استطاعت التضليل بالرأي العام في اسبانيا في هذا العام ، واشتعال نار الحرب ضد الملكية ، ابتدأت الثورة في جامعة مدريد فتهدمت عن آخرها ، ثم انتقلت الى دور الحكومة فالقصر الملكي ، وكاد الحمر ينجحون في حربهم لولا هرب الملكية وحاشيتها وحرسها الى الكزار واعتصامها ، فحاصرها الشيوعيون نحو ٧٠ يوماً ، لاقى خلالها المدافعون عن الكزار كل الويل حتى كادوا أن يسلموا في آخر لحظة من هول شدة قصف مدافع الأعداء عليهم حتى تهدّم معظمه وخاصة طباقه العليا وسقفه وبعض جوانبه كما هو مبين بالشكل رقم (٢) .

وقد نفدت كل المؤونة اللهمّ إلاّ من بعض بقايا الحبوب وكسر الخبز التي لا تقيم أود المدافعين عنه كما نفد الغاز وكثر عدد الجرحى داخل الكزار وصار الأطباء يعالجونهم في ضوء الشموع كما بليت أسلحتهم الطبية . ومع ذلك فقد استخدموها حتى آخر رمق فيها لانقاذ ما يمكن انقاذه من الأرواح البريئة . أما الذين قتلوا فقد دفنوا في جناح خاص بالكزار بالدور الثاني . وقد بلغ عددهم ١٠٤ قتيل نقشت أسماؤهم على أحد جدران هذا الجناح أمام مقابرهم . وقبل نهاية الحصار أسرت جيوش الحمر ابن قائد الكزار المدافع عنه « الكولونل ماسكاردو » Mascardo وكان عمر ابنه سبعة عشر عاماً ، واتصلوا بأبيه تليفونيًّا يهددونه بقتل ابنه في الحال إذا لم يسلم الكزار . واستطاع الابن الاتصال بأبيه تليفونيًّا يرجوه عدم التسليم ، وأنه سيضحي بحياته في سبيل نصرتهم في النهاية . فلم يسلم الأب الكزار وقتل الابن وقد تمّ لهم النصر أخيراً على يد الجنرال فرانكو الذي استطاع محاصرة الحمر من الخارج وهزيمتهم . وقد احتفظت الحكومة الاسبانية بهذه الذكرى الخالدة فسجلتها على لوحة تذكارية كتب عليها قصة التسليم وتهديد القائد وتضحية ابنه بتاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٣٦ ، ووضعت بين صورتيهما في حجرة القائد نفسه بالطابق الثالث من الكزار وتعمدت الحكومة الاسبانية عدم اصلاح الكزار بل احتفظت بحالته الراهنة لذكرى

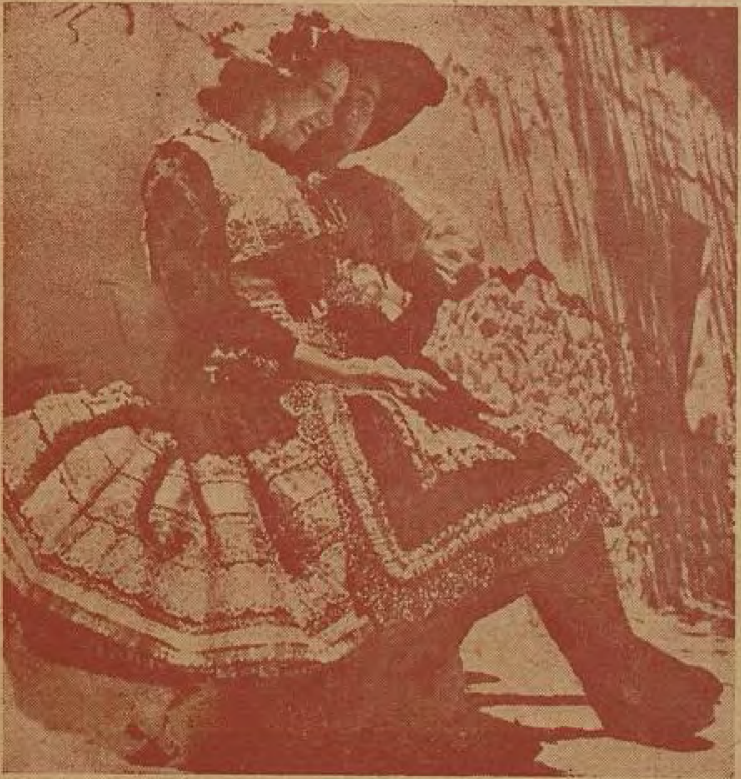

شكل ١ – عروس بملابسها الوطنية

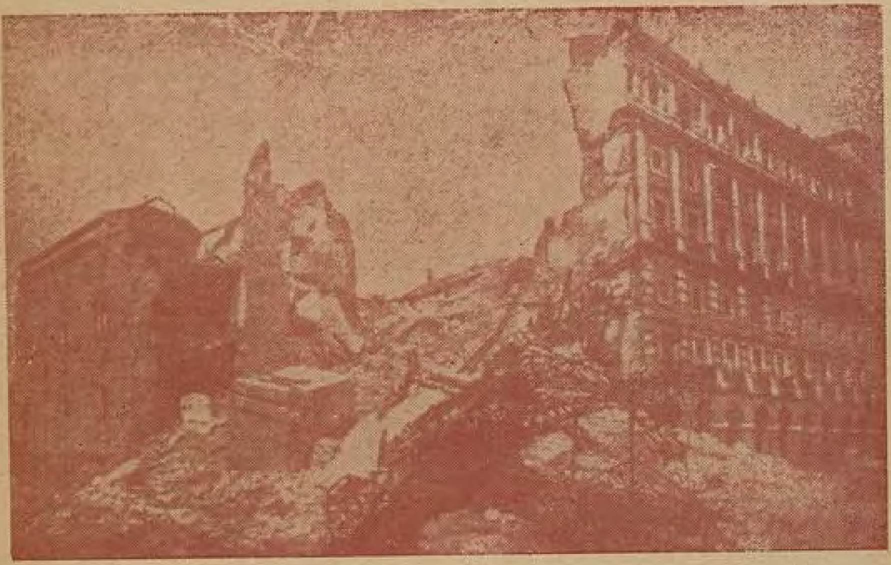

شكل ٢ — الكزار بعد الثورة

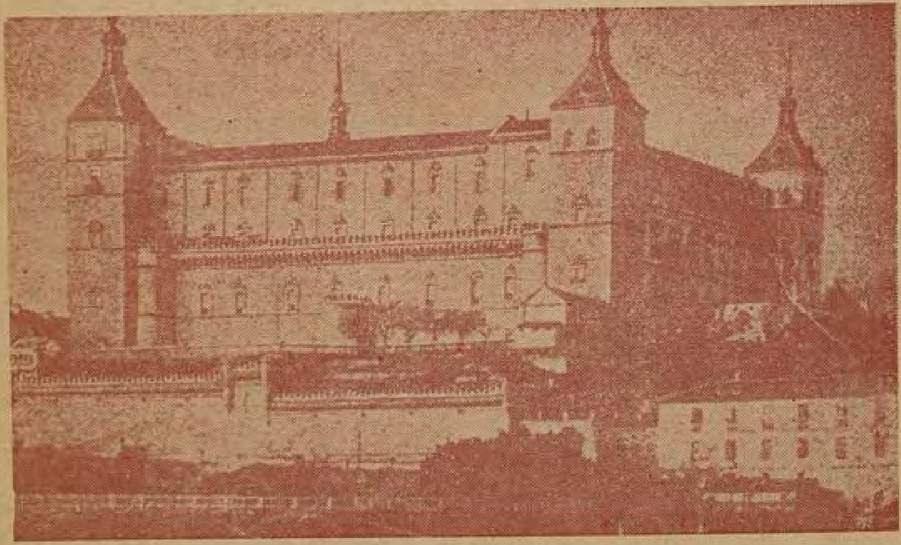

شكل ٣ — الكزار قبل الثورة

شكل ٦ – تحف من الذهب
الخالص الذي اكتشفه كولمبوس
في القرن الخامس عشر

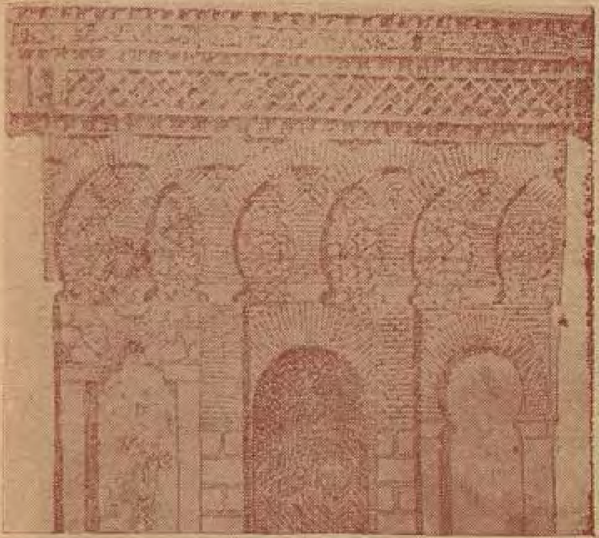

شكل ٤ – مسجد باب مردوم

Orientalischen Seminar Freiburg i.Br.

شكل ٥ – كنيسة سانتا ماريا البيضاء

والموعظة للاجيال القادمة من الاسبانيين ورمزاً للوطنية وقوة العزيمة والتضحية في سبيل نصرة بلادهم ضد أي طغيان غاشم .

هذا هو الكزار بشكله الحالي بعد أن تهدّم معظمه . أما الكزار الاصلي فانه بناء مربع شاهق الارتفاع أقيم في كل ركن منه برج ، وله شرفات وبوائك في واجهاته ، كما هو مبين بالشكل رقم (٣) ويمكنك من مقارنة شكلي الكزار قبل وبعد الثورة أن تدرك ما حلّ به من الخراب والدمار .

* * *

طفنا بأرجاء الكزار لنتحقق مما وصل إليه من الداخل فاذا به في حال يرثى له ، فقد أعدّ الطابق الاول للطهي وحفظ الاسلحة ، بينما خصص جناح خاص بالطابق الثاني لدفن الموتى ، يقابله من الجهة الاخرى جناح آخر يتكوّن من دهليز طويل مظلم ينفذ اليه الضوء من نافذة صغيرة في أعلا الجدار ، وقد مدت على أرضه قليل من الوسائد القديمة البالية تعاف الكلاب النوم عليها لردائتها وقذارتها. وكان ينام عليها المرضى . وأمامها منضدة الطبيب (المشرحة) التي خصصت لاجراء العمليات الجراحية عليها ، وفي جانب آخر من هذا الكزار أقيم معرض صغير احتفظ فيه ما تبقي من مخلفات الادوية وبعض الحبوب وكسر الخبز والاسلحة القليلة وقد احتفظ بالطابق الثالث آثار حجرة القائد ومكتبه وتليفونه الذي تلقى به التهديد ، أما باقي هذا الطابق فقد تهدّم ولم يبق منه الاّ بعض الجدران الداخلية .

بعد أن طفنا بأرجاء الكزار خرجنا ثانياً حيث قد قاربت الشمس من كبد السماء واشتدّ الحر وظمئت النفوس . ولم ينقذنا إلاّ فتيات صغيرات تبدو عليهم مسحة من الجمال الريفي الاسباني، وقد وقفن أمام الكزار في ملابس نظيفة ويرتدين نعالاً من القماش والفلين تشبه عندنا الاحذية (الكاوتشوك) وقد أمسكت كل منهن بجرّة من الفخار بها ماء تشبه الابريق ، يطلق عليها الاسبانيون كلمة (بطيخو) وينادين (أجوا .. أجوا) ماء ... ماء فشربنا نظير دريهمات قليلة .

عدنا ثانياً نجوب شوارع طليطلة الضيقة ، نستظل بجدرانها المرتفعة ، مارين ببعض أبوابها العتيقة والقلاع الشاهقة التي ترجع الى العصور الوسطى ، حتى وصلنا الى سور ضخم

يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية يشبه في علوّه وضخامته أسوار صلاح الدين والعادل التي تصل ببابي الفتوح والنصر في شماليّ القاهرة .

يقع خارج هذا السور حديقة فسيحة تملؤها أشجار باسقة ، وتحت هذه الأشجار وبجوار كوخ صغير (بوفيه) جلسنا على كراسي ومناضد أعدّت لتصف لكل قادم. فتناولنا ما تيسر مما جلبناه معنا من الغذاء ، واحتسينا القهوة وشرب البعض الآخر مشروبات مثلجة ، وقطعنا شطراً من الوقت حتى استرحنا قليلاً ، ثم عدنا ثانياً لنستأنف السير لزيارة باقي معالم طليطلة الغنية بها .

وقد كان بطليطلة عدد كبير من المساجد تهدّم معظمها ولم يبقَ منها الاّ عدد قليل تنكر لها الدهر وحولت الى معابد وكنائس بعد أن تغلب عليها المسيحيون في القرن الحادي عشر واتخذها الفونس السادس عاصمة له سنة ١٠٨٥ .

من هذه الكنائس سانت توم التي كانت مسجداً ثم أدخل عليه بعض التعديلات القوطية في القرن الرابع عشر لتحويله الى كنيسة .

وفي أحد شوارع طليطلة الضيقة التي لا تتسع لأكثر من مرور سيارة واحدة بها ، وقفنا أمام مسجد « باب مردوم » يحيط به فضاء غير متسع ارتفع عنه الشارع بدرجتين ، وقد كان هذا البناء مسجداً أقيم ليذكر فيه اسم الله عام ٩٦٠ كما تدل على ذلك الكتابة الكوفية التي تعلو واجهته. ثم تحول الى كنيسة St. Cristo de la Suz ، أما الآن فهو أثر غير مستعمل احتفظت به الحكومة الاسبانية في عداد آثارها للذكرى والتاريخ .

وتنقسم واجهته ثلاثة أقسام أفقية يتكوّن القسم الأسفل منها من دعامتين بارزتين تقسمه ثلاثة عقود ، أكبرها العقد الأوسط وهو عقد دائري ، بينما العقد الأيمن على شكل حدوة الفرس ، والأيسر مفصص. ويظهر أن هذا الخلاف بين العقود الثلاثة راجع الى ما تناول الواجهة من الاصلاح. وقد بني ذلك القسم بالحجارة المشذّبة والطوب الأحمر في مداميك منتظمة

أما القسم الأوسط فقد بني بالحجارة الغير مشذّبة تبرز منها عقود متقاطعة صماء على شكل حدوة الفرس مبنية بالطوب شأنها في ذلك شأن باقي عقود المسجد .

أما القسم العلوي فقد بني أيضاً من الطوب ويتكوّن من أشرطة ضيقة أفقية من الزخارف المعمارية ، أهمها وأكثرها اتساعاً الشريط الأوسط ، وقد بني من الطوب الذي استخدم في زخرفته على شكل معينات هندسية . ويعلوها شريط من الكتابة الكوفية يبتدىء بالبسملة وينتهي بتاريخ البناء كما هو مبين بالشكل رقم (٤)

ويظهر أن العرب نقلوا فكرة استعمال الطوب في البناء والزخرفة من العباسيين بسامرا إلى مصر في جامع أحمد بن طولون ، ثم الى شمال أفريقيا وأسبانيا .

دخلنا هذا المسجد فاذا نجد أنفسنا في ردهة مربعة تتوسطها أربع عمد ، مختلفة تيجانها يظهر أنها نقلت من كنائس قديمة . وتحمل هذه الأعمدة اثنتي عشر عقداً تقسم الردهة الى تسعة أروقة متساوية مغطاة بقباب أكثرها ارتفاعاً القبة الوسطى . وتلتصق بكل قبة من الداخل عقود متقاطعة في أشكال هندسية مختلفة في كل واحدة عن الثانية . وهذه الأشكال إما نجمية متعددة الأضلاع أو معينات أو مربعات أو مستطيلات . وهذه تنقسم بدورها الى مثلثات وهكذا .

يلي هذا القسم مكان الصلاة وهو يرتفع عن الأول بثلاث درجات ويتصدره محراب على جانبيه صفان من الأعمدة الصم . ومما لفت نظرنا أن بعض الجدران زخرفت بالفريسكو على بعضها رسوم آدمية بيزنطية يظهر أنها من آثار الكنيسة القديمة التي تحول إليها المسجد فيما بعد .

وبالقرب من مسجد باب مردوم كنيسة سانت ماريا البيضاء Santa Maria La Blanca وهي مثل آخر للمساجد التي نالت من صروف الدهر ما لم ينله أي مسجد آخر ، فقد حوله اليهود في القرن ١٣ ، ١٤ الى معبد وغيروا ما كان به من الكتابة العربية الى عبرية . ثم استولى عليه المسيحيون وأصبح كنيسة عام ١٤٠٥ . ويقال أنه كان ملجأ للنساء ١٥٥٠ . ثم استولى عليه البوليس وحولوه ثكنة . ثم الى اصطبل لخيولهم . وقد فطنت الحكومة الاسبانية إلى ذلك فأخلته وأصلحت بعض أجزاءه .

ويعد هذا المسجد مثل رائع لفن المدجرين الذي يعتبر حلقة اتصال بين الفن الشرقي والفن القوطي ، ويجمع هذا الفن بين صفات الفن العربي والروماني والفسجوثي القديم . فأخذ عن الفن العربي استخدام الطوب في البناء والجص في الزخرفة ، كما استعمل الخزف والجدائل والتطعيم . وللمسجد من الداخل روعة وجمال تأخذ بلب الناظر اليه . ويتكون من قاعة كبيرة بها خمسة صفوف من الأعمدة المثمنة ذات التيجان النخيلية من الجص المخرم المكون من أنصاف فروع نخيلية مجدولة ، تنتهي أطرافها بلفات يتكون في مجموعها شكل بديع . وفوق كل صف من هذه الأعمدة ستة عقود على شكل حدوة الفرس مغطاة بطبقة ناصعة البياض من الجص . وربما نسب الى ذلك اسم « سانتا ماريا البيضاء » . وفوق هذه العقود صف آخر من العقود المفصصة لتزيد من ارتفاع السقف كما هو مبين بالشكل رقم (٥)

ويتكون الباب الخارجي من حشوات خشبية تشبه الأبواب الأيوبية بمصر .

وقد حرص الأسبان على ألا تفوتنا فرصة زيارة كتدرائية طليطلة . وفي طريقنا إليها عرجنا على متحف الجريكو Casa del Greco ويعد هذا المتحف من أعظم المتاحف الفنية لما يوجد فيه من روائع رسوم الفنان الاسباني جريكو الذي يعد من أعظم مصوّري معالم هذه المدينة . فقد استطاع أن يسجل بريشته جميع الحضارات التي خلفت آثارها في طليطلة . حتى ليقال ان طليطلة تعد عاصمة للفنون في اسبانيا ليس لكثرة ما بها من الآثار والكنوز وإنما لوجود رسوم الجريكو بها . وأخيراً وصلنا الى كاتدرائية طليطلة التي ابتدىء في بنائها ١٢٢٧ على الطراز القوطي ونظراً لأنها لم تتم إلا في القرن ١٥ فقد نجد بها بعض التأثيرات الباروك وعصر النهضة . ويبلغ طولها من الداخل ٣٩٥ وعرضها ١٧٨ وهي مقسمة خمسة أروقة وغنية بالزخارف والنوافذ الزجاجية الملونة .

وتحتفظ الكاتدرائية بكثير من الكنوز والكتب الفنية والأعمال الرائعة لأشهر الرسامين الأسبانيين أمثال جويا وجريكو وتيتيان ، وغيرهم كما تحتفظ بكثير من الكنوز المهداة إليها وأهمها تحفة رائعة من قطعة من الذهب الخالص الذي اكتشفه كولمبوس في أمريكا ، وزنها ١٦ كيلو جرام صنعت في شكل بديع يمثل المسيح . شكل رقم (٦)

أوشكت الشمس على المغيب حينما عدنا الى الميدان الرئيسي الذي تركنا فيه سيارتنا بعد قضاء يوم حافل بالآثار التي تشهد بحق على ما كانت عليه طليطلة من عزّ وحضارة . وقد شهد بذلك المستشرق الاسباني جايجنوس حين قال : « لقد سطعت في اسبانيا أول أشعة لهذه المدينة التي نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية . وفي مدارس قرطبة وطليطلة جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء وحفظت بعناية . ولحكمة العرب وذكائهم يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » . وقد نبغت طليطلة في صناعة الأسلحة ولا تزال شهرتها الى اليوم في أنواع صغيرة كفتت بالذهب والمينا ، تعرض للبيع للزائرين ولهواة جمع التحف مما دعا بعضنا للتسابق لشراء ما تيسر من الجوهرات وقطاعات الورق وغيرها من التحف التي لها طابع خاص قلما يوجد في أي بلد آخر من بلدان العالم . ثم احتللنا مقاعدنا في سيارتنا وعدنا الى مدريد فرحين بهذه الزيارة الكريمة .

محمد رجب البيلي
دبلوم في الآثار الاسلامية

ذكرى يوهان ليندهارد

للميجر كراج : السويدي
سكرتير اتحاد تمرينات لنج

ترجمة أبي سلمى

ترجمة حياته

في الحادي عشر من شهر اكتوبر ١٩٤٧ توفي الاستاذ ليند هارد عن ٧٧ سنة ، وكان حتى نهاية حياته معروفاً بنشاطه في عالم التمرينات. وفي آخر شهر مايو المنصرم كتب موضوعاً عن التمرينات الحديثة في مجلة الاتحاد الدولي لتمرينات « لينغ » وفي هذا الجو الشمالي تعرّض لصدمات صحية كبيرة تغلب عليها بتاريخه المشهور في التمرينات . ففي السنين الاولى من حياته انتحى نواحٍ مختلفة في سلوكه . وبعد مضي عدَّة سنوات في عمله بالكلية انضمّ الى مدرسة « اسكوف العليا » ونال شهادتها الاولى في سن التاسعة عشرة . وكانت خدمته الاولى في سلاح المدفعية اذ خدم ضابطاً احتياطياً لمدَّة سنة . وفي هذه الاثناء تطوّرت ميوله الى الناحية العلاجية ، واجتاز الامتحانات الخاصة في العلوم عام ١٨٩٣ . وكذلك امتحاناته النهائية عام ١٨٩٨ . وفي الاعوام التالية قام بخدمة التمرين الطبي كطبيب دفعته روحه النشطة الى تحمل كثير من المسئوليات حتى سنة ١٩٠٨ حيث عاد الى بلده بعد مضي سنتين أمضاها متجولاً في الدانمارك وشرق جرينلاند

وقد ابتدأ بالعمل في البحوث الفيزيولوجية حيث اقتنع ان هذا هو عمله في حياته .

وكان نشاطه في السنة التالية منصبّاً على فيزيولوجية التنفس والدورة الدموية وساعده في ذلك الاستاذان . هازيل بالخ — A. K. Haoselbalch وكروغ — A. Krogh وابتدأ اشتراك ليندهارد بالتمرينات سنة ١٩٠٩ حين عيّن مدرساً للتشريح ولنظريات التمرينات لجامعة (كوبنهاجن) وعلاقة ذلك بالناحية العملية كموضوع هام في امتحانات الفلسفة . وكان نشاطه العلمي في هذا الميدان الجديد قد جعله مكتشفاً يضم سلوكاً تقليدياً عالمياً كخبير في

نظريات التمرينات . وعقب انتهائه من امتحانات الدكتوراه في الطب عام ١٩١٤ عين محاضراً جامعيًّا سنة ١٩١٦ . وفي سنة ١٩١٧ عين أستاذاً في نظريات التمرينات في الجامعة . وفي سنة ١٩٢٠ عين مديراً لمعمل التمرينات النظرية في (كوبنهاجن) ومكنه هذا المركز من زيادة الاحتمالات للبحث في التجارب الفيزيولوجية . وتمكّن بما له من مجهودات في التمرينات العملية من اكتساب مركز حميد مقاطعة للتمرينات الدانماركية في معهد كوبنهاجن . ومكث به من عام ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٨ وكان في سنة ١٩٢٥ عضواً في الجمعية الملكية العلمية الدانماركية . وفي سنة ١٩٢٩ كان ضمن المؤلفين العالميين المعروفين (في العمل الفيزيولوجي — Arbeitsphysiologie) . وفي الخامسة عشرة من حياته كان تفكيره العملي منصبًّا على العمل العضلي . ومن هنا جاءت معظم الموضوعات العالمية في هذه الناحية . وفي سنة ١٩١٤ طبع عمله في التمرينات وهو الأول من نوعه الذي أثار أهمية أكثر مما يتصوّر في كتابه المعروف « التمرينات الخاصة » (وقد أعيد طبعه سنة ١٩١٨ وفي سنة ١٩٢٧ . وترجم للانكليزية سنة ١٩٣٤ والى الاسبانية سنة ١٩٤٥) وفيها كتب نقداً لاذعاً لتمرينات (لينغ) ، حيث كانت تؤدى في المناطق الشمالية في بدء القرن العشرين . وقد هاجم (ليند هارد) طريقة لينغ وبصورة خاصة المسماة بالتمرينات الاستعراضية ، كانت قيمة هذا العمل منحصرة في ازدياد الاهتمام بالتمرينات . ومن هنا أوجد الصلة بين نظريات التمرينات وعلم وظائف الأعضاء العملي . وفي عرضه لذلك تمكن من إيجاد اتحاد بين أساتذة الفيزيولوجية ومدرسي التمرينات التربوية . وكان لهذا فضل في اكتساب ذكرى دولية كمؤسس لنظريات التمرينات وبطبعه كتباً بعد ذلك توفر لديه عدد من المعارضين وبالأخص من السويديين . وفي كتبه الحديثة التي تتعلق بالتمرينات العلاجية السويدية الذي قلل فيها من قيمة عمل لينغ في تمريناته العلاجية في المعهد المركزي للتمرينات ، ولكنه تحوّل أيضاً الى مهاجمة أصحاب لينغ (ليدبك Lidbeck وجورجي — Georgi وهيلمار لينغ — Hjalmar Ling) . وقد تعرّض أيضاً برانتينج — Branting الى النقد اللاذع الذي أدّى الى قيام معارضة في وجه ليند هارد ، ومن هذه الناحية تدخل في نواحي متعددة في تاريخ التمرينات حيث استعرض في أعماله أعمال الدكتور وستربليد Dr. C. A. Westerblad الذي تمكن بعد

دراسته أعواماً من نيل شهادات أكبر من دين Dane وليندهارد . وهذه الكتب كأعمال ليند هارد جميعها مكتوبة باختيار دقيق في الكلمات وبعرض سليم ونقد صريح ساحق وحتى ان أي قارىء خالٍ من أية فكرة عن تقاليد لينغ يجد في كلام ليند هارد مهاجمة لطريقة لينغ

حتى اذا ما تمكن ليند هارد من جمع أعماله في كتاب متواضع وكذلك عمله بالتمرينات وفي طريقة التربوية ونظرياته نجد أنه تجاوز حدود الفلسفة الفيزيولوجية الى اتخاذ طريقة لينغ بعد تصحيحها . وفي خلال حصوله على تأييد من مصادر معروفة مهمة لكي يقوم بتمريناته الواسعة ، وبنفس الوقت خلال وجوده مؤيداً بأستاذيته العالمية في التمرينات الرياضية الفيزيولوجية قد حصل على منزلة رفيعة جعلته يهب مواهبه الفريدة للميادين التي احتاجت الى دراسة نقدية ومساعدة البحوث السيكولوجية التي ارتقت وتحسنت في بداية القرن العشرين ولذلك فان موته يعتبر ضربة أليمة للتمرينات البدنية إذ أنه من المؤسف ان أيامه الأخيرة كانت تحاط بسحب من النزع القاسي .

* * *

ولقد كتب ليندهارد محاضرة وحديثاً في نهاية يونيو سنة ١٩٤٧ وفيها بين سلوكه تجاه أصحاب تمرينات لينغ في السويد . وهذه المحاضرة لا تنفي رأيه نفياً باتاً فيما ذكرنا سابقاً . بل يوضح فيها أنه يعارض لينغ في مادة التمرينات العلاجية . ولا يمكنه بأن يقلل من عظمة لينغ من حيث التكوين الجثماني . ويعترف أيضاً في محاضرته أن هيلمار لينغ أحدث تقدماً في بحث تاريخ التمرينات بالاشارة الى جدول التمرينات التي أعطت نظاماً في كمية المجهود الذي عارضه بشدة وان ورثة لينغ بعد موته أبقوا أبحاث لينغ كما هي دون تقدم ، وحتى في محاولة تحسينها بدراسة القوانين الخاصة بنظم الجسم ومحاولة ربط التمرينات بها . وكان ضمن من هاجمهم برانتينغ Branting عميد المعهد المركزي للتمرينات والذي نظم هذه العلاقات .

وأخيراً يقرر ليند هارد أن هناك فترة مرّت به حتى وصل الى نظرياته من تمرينات لينغ لأنه بدأ يدرك أخيراً وبالتدريج أن الأخطاء التي حدثت نتيجة لأعمال لينغ في التمرينات لا يمكن أن تؤخذ عليه في القرن العشرين .

صيد الأسفنج

في خليج المكسيك

لم يُعرف بعد على وجه التحقيق متى بدأت صناعة صيد الأسفنج في خليج المكسيك بأميركا الشمالية ، بيد أنه كانت هناك حوالي سنة ١٨٧٠ ميلادية قوارب تجوس خلال الخليج في كلّ منها رجلان أحدهما يجذف والآخر يقوم بمهمة التحديق في دلوٍ قاعه من زجاج يضعه على سطح الماء حتى اذا لمح شيئاً من الأسفنج بادر بتدلية عصاً طويلة مثبّت في طرفها خطّاف تصل الى حيث الأسفنج موجود فيجتذبه بها .

وما أن حانت سنة ١٨٩٠ ميلادية حتى فكر المدعو « جون شيني جديًّا في هذه الثروة المائية وأخذ في ارسال القوارب زرافات بالقرب من شاطىء « فلوريدا » الغربي لصيده بنفس الطريقة ودأب على العمل فازدهرت هذه الصناعة ونمت ومن ثمّ تأسست بورصة الأسفنج لتنظيم تجارته وارتفعت أثمانه لغلاء أسفنج البحر الأبيض المتوسط .

ولما وثق « جون شيني » المذكور من وجود الأسفنج بهذا الخليج بكميات وافرة حيث يمتد نحو خمسين ميلاً من الشاطىء آثر صيده بطريقة الغوص في الماء فتشاور مع المستر « جون كوريكويس » في الأمر . وهو أول يوناني أقام في « فلوريدا » فأشار عليه الأخير باستدعاء نفر من غواصي جزر بحر إيجيه ببلاد اليونان . فحسن ذلك الرأي لديه وصحّ العزم على تنفيذ الفكرة وكان ذلك في سنة ١٩٠٥ . فأرسل اليوناني واستدعى ثلاثة من الغوّاصين فجاءوا بعائلاتهم الى « فلوريدا » وأقاموا في مدينة « تاربون اسبرنجس » على خليج المكسيك وشرعوا في العمل توًّا .

واليوناني بطبعه شغوف بركوب البحر الذي يرى فيه أسباب معيشته كما يرى فيه أيضاً ميداناً للبطولة ورمزاً للفتوّة وإليه يرجع الكثير من معتقده الديني

وهنا بدأت نهضة جديدة لهذه الصناعة . ومع مرور الزمن اجتذب هؤلاء اليونان إخوانهم في المهنة من جزر اليونان فأقبل هؤلاء أيضاً بقضهم وقضيضهم وأقاموا بتلك المدينة وكوّنوا مستعمرة يونانية حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف وعاشوا هناك محتفظين بكل مظاهر قوميتهم وعاداتهم من لغة ومأكل وملبس وعبادة وغير ، ذلك ولهم كنيستهم على اسم القديس نقولا فضلاً عن الصلاة العائلية التي تقام في كل منزل لأن حياة اليوناني وثيقة العرى بعقيدته الدينية .

وتعمل سفن الغوص في مياه يتفاوت عمقها من ثلاثين الى مئة قدم . وتقوم السفينة في الموسم الواحد برحلتين طويلتين تعود في نهاية كل منهما الى الشاطىء لتفريغ ما التقط من اسفنج ولأخذ ما تحتاج إليه من مؤونة وغيرها .

وللغوّاص شغف عظيم بمهنته . ومن مأثور القول عندهم « أن من مارس الغوص عامين ظلّ غواصاً طول حياته » — ويستطيع من بلغ السادسة عشرة من العمر البدء بالغوص حتى يجاوز الستين قليلاً ثم يعتزل العمل .

ويطول موسم العمل في الخليج بسفن الغوص الى تسعة شهور سنويّاً يصرف منها الغوّاص نحو شهرين تحت الماء متنقلاً بقدميه في قاع الخليج وهو في شبه ظلمة .

وجهاز الغوص هو عبارة عن ثوب من القماش المزدوج العازل للماء ومبطن بطبقة من المطاط (الكاوتشوك) فيلبسه الغوّاص ويُحكم رباطه حول معصميه بالمطاط أيضاً . ثم يُغطي الرأس بكُرة من المعدن تُثبَّت بمسامير محكمة ، وبهذه الكرة طاقتان من الزجاج السميك ينظر الغوّاص من خلالهما ما حوله وفي أعلى الكرة أنبوب طويل يتصل بالسفينة لامداده بالهواء اللازم — وجهاز على ما وصفنا ليس بالشيء الخفيف الذي يتسنى للابسه التحرك به بسهولة ويُسْر فهو يزن نحواً من ١٨٨ رطلاً .

فمتى حان وقت الغوص يقوم زملاء الغوّاص بمعاونته على لبسه ثم يضعون فوق كتفيه أثقالاً من الحديد ويهبط رويداً رويداً حتى يستقر بقدميه في قاع الخليج وهناك يشعر بضغط الماء . وكلما احتاج الى هواء جديد أمال رأسه الى الوراء فيضغط على زرّ بداخل الكرة المعدنية فيتسرّب الهواء الى داخلها بواسطة الأنبوب بالقدر المطلوب .

ويرى الغوّاص المرئيات حوله ملوّنة بلون أخضر أو أزرق داكن يسترعي النظر . وهو لا يسمع لوقع قدميه على الارض صوتاً بالرغم من ان حذائيه يزنان ٣٥ رطلاً . وفي هذا السكون الرهيب يعمل الغوّاص جادّاً في طلب الأسفنج . وقد يسير ميلاً دون أن يعثر على أسفنجة تستحق الصيد . لأن القانون يقضي بمنع صيد الأسفنج الصغير الذي يقل محيط الواحدة منها عن خمس بوصات — وأحسن الأسفنج ما بلغ محيط الواحدة منها ١٦ الى ١٨ بوصة .

* * *

ويتكوّن الأسفنج من حيوين صغير وينمو نموّاً بطيئاً جدّاً في الشهور الاولى. ثم يزداد اتساع محيط الأسفنجة بمقدار بوصة شهريّاً . ويقتضي ان يبلغ مدى نظر الغوّاص في الماء ست أقدام على الأقل، غير انه يستطيع في الايام المشرقة الرؤية الى مسافة تتفاوت ما بين ٣٠ الى ٥٠ قدماً ويمكنه أحياناً رؤية قاع سفينته التي تعلوه مائة قدم إذا كان الماء أيضاً صافياً

ويتعرّف رفقاؤه الذين في السفينة على مكانه برؤية فقاقيع الهواء المتصاعدة منه ، فتتبعه الى حيث يتجه. ويحمل الغوّاص بيده كيساً من الشبك وبالاخرى خطّافاً ثقيلاً ذا ثلاث شعب يجتذب به الأسفنج المتشبّث بالصخور ويضمه داخل الكيس حتى اذا امتلأ أشار الى رفقائه بالسفينة فيرفعونه ويدلون له بغيره وهكذا . واذا حصلت سفينة ما على نحو ١٥٠ الى ١٨٠ قطعة منه عدّ ذلك فوزاً .

وناهيك بمحاسن الطبيعة ومفاتن البحر . فهنالك سمكة سابحة تحدّج الغوّاص بعينين نجلاوين وكأنها تقول له من أنت وما شأنك وكيف استبحت الخدور وماذا تبتغي من وراء تجوالك . وثمة نوع آخر من السمك يعترض سبيل الغوّاص الى غير ذلك من مختلف حيوانات الماء .

ويلج الغوّاص أحياناً شبه مغاور مظلمة ينمّ ظاهرها على التداعي والانهيار. غير إنها صلبة لا تقوى على النيل منها المعاول ، أما تكوينات المرجان فحدّث عنها ولا حرج فهي أشعار منظومة في جبين الصخر . وأينما سرّحتَ الطرف ترى الجمال مجسماً وشتّته بد

الطبيعة خُلواً من زَيْف أو صناعة — فهنالك وهاد وهضاب وأحراج وبساتين على مثال ما يُرى على سطح الأرض . والماء المحيط بكل ذلك هو بمثابة الغيم أو الضباب يغشى كل هذه المرئيات فيكسبها روعة وجلالاً . وفي ناحية أخرى جبل شامخ لم يحاول تسلقه أحد، ولم تطأه قدما انسان ، ولم تعصف به قط ريح . هو بكرٌ بين الجبال ممتنع كجبهة الأسد له سحر يلعب بالألباب ويأخذ بمجامع القلوب . تراه وكأنه يتحرّك ويموج غير أنه ثابت الأركان وطيد البنيان .

كل هذا لا يشغل الغوّاص عن أداء مهمته ، أو يلهيه عن خطورة موقفه ، فان عينه لا تفتأ تجوس خلال الصخور والآكام باحثاً عن الاسفنج الذي هو هدفه الوحيد وضالته المنشودة ، والذي يرى وكأنه وسائد من المطاط داكنة اللون لزجة الملمس عالقة بالصخر .

واذا شاء الغوّاص تسلق بعض المرتفعات فتح صمام الهواء الذي بداخل كرة الرأس برهةً فيتسرّب جانب من الهواء الى الداخل فيخف وزنه ويطفو قليلا وهذا مما يساعد على ارتقاء المرتفعات .

وثمة خطر يتعرّض له الغوّاص وهو في عمق الماء ذلك هو القرش أو كلب البحر فهذا الحيوان يشتم رائحة الدم فينجذب اليه . ولذا فان قانون الغوص يقضي على الغوّاص لدى رؤيته لهذا الحيوان اخفاء يديه العاريتين تحت ابطيه حالاً ، وان يهم بالصعود ولكن ببطء خشية انقضاضه عليه اذا بدت منه علائم الخوف . وعلى أثر صعوده الى السفينة يبادر رفقاؤه برفع الأثقال عن كاهله ونزع جهاز الغوص عنه تدريجيّاً، لأن جسمه يكون مغموراً بالعرق اذا كان الفصل صيفاً . وقد تبدو عليه علائم الاعياء الشديد . ثم يستبدل ملابسه المبللة بغيرها . وكثيراً ما يخرج عن مألوف عادته على أثر صعوده من الماء فيوجه الى زملائه سيلاً من التعنيف الشديد لسبب قد يكون تافهاً، غير أن أحداً منهم لا يجرأ أن يجيبه بكلمة لعلمهم بما هو مستهدف له من المخاطر في كل لحظة . ولكنه لا يلبث أن يستجمع شعوره ويثوب الى رشده .

وكثيراً ما يصاب الغوّاص بشبه كساح أو شلل وقتي اذا لم يتح له الوقت الكافي للراحة بين فترات الغوص ولصعوده من الماء بسرعة كبيرة .

وكلما صعد غوّاص من الماء نزل آخر مستخدماً نفس جهاز الغوص . ويستطيع الغوّاص النزول الى جوف الماء من ثلاث الى ست مرات في اليوم الواحد تبعاً لحالة الطقس وعمق المياه . أما مدة مكثه فتتفاوت من بضع دقائق الى نصف ساعة أو أكثر .

ومحظور على الغواص تناول أي طعام أو ماء طول نهار العمل الاّ مقادير من القهوة المركزة . فاذا ما انتهى يوم العمل وأعدّ له الطعام تهافت عليه تهافت الجياع على القصاع .

ومتى انتهى اليوم وآذنت الشمس بالمغيب انصرف الجميع الى اللهو والطرب على أضواء الشموع التي تتجاوب مع لمعان الكواكب . وأدير الراديو لسماع الموسيقى والاخبار وتمسي السفينة وكأنها جزيرة صغيرة تعج بمختلف الأصوات وتترنح بالأغاني والأهازيج حتى اذا قضوا جانباً من الليل انصرفوا الى النوم بعد أداء فرض الصلاة الجامعة .

والغوّاص هو الشخص الممتاز بين رجال السفينة نظراً الى نوع عمله وخطورته .

* * *

أما الاسفنج المستخرج الذي يكون مغلفاً بطبقة هلامية كالمطاط فيوضع أكواماً ويغطى بقماش كثيف ويترك زمناً لينضج على حد تعبيرهم . وبعد أن يجف يتشقق هذا الغلاف ويتساقط بعضه . ثم يستعينون على نزع الباقي بمدى قصيرة . وبعد ذلك يوضع في أوانٍ بها ماء وملح ويعالج حتى يتنقى من المواد الغريبة وينظم عقوداً في خيوط ويعلق في الهواء ليجف ويزداد نقاوة .

وبعد ذلك يرسل الى بورصة الاسفنج التي تنعقد مرتين في الأسبوع لبيعه . وصيد كل سفينة يوزّع ثمنه على رجالها حصصاً متفقاً عليها . فللغوّاص أربعة أنصبة ونصيبان لكل من سائر العمال . أما الربان فله نصيب أوفر .

وللأسفنج درجات متباينة تبعاً للنعومة والمتانة ومقاومة الضغط وقوة الامتصاص للماء واللون وبعض مميزات أخرى

أمين عبده
بوزارة الزراعة سابقاً

عن الانجليزية بتصرف

وصف العاصفة

عند امرىء القيس وعند فرجيل

لقد نسلم جميعاً اليوم بأنه لا بدَّ لنا في درسنا الأدب العربي من المقارنة بين هذا الأدب وآداب أخرى إذا ما شئنا أن نتبين قيمته الانسانية ومكانته في العالم. إلاَّ أننا لسنا بغافلين عن أن هذه المقارنة لا تجوز بين أدبنا وبين الآداب الغربية الحديثة، وإنما الرأي في الأمر أن تكون هذه المقارنة بينه وبين الآداب العالمية القديمة ولا سيما الأدبان اليوناني واللاتيني لسعة انتشارهما في العالم المتمدن. ولقد وفر لهما هذا الانتشار الواسع، الجانب القوي من الروعة والفن الذي انتهيا اليه في تعبيرهما عن العواطف الانسانية وتصويرهما لها حتى أن أمم الغرب جميعها اتخذتهما كمثل أعلى تقيس الى آثارهما كل أثر كتابي أو شفهي خُصَّ الشهرة الأدبية والخلود.

ولقد نشعر في أثناء تطبيقنا هذه الفكرة عمليًّا واتخاذنا آثارنا الأدبية أثراً أثراً ومقارنتنا إياها مع بعض ما خلف لنا اليونان أو اللاتين من تراث أدبي. أن أدبنا العربي القديم هذا، الذي يظنه البعض بعيداً عنا، غريباً عن حياتنا، يلائم كل الملاءمة تلك الحياة التي نعيشها في عصرنا العشرين، إذ أن هذا الأدب في كثير من مقطوعاته، لم يقصر دون الآداب الغربية القديمة في تعبيره عن العواطف التي قد تشغل صدر كل انسان في أثناء وجوده في مواقف ومشاهد ممتازة يعدها من ذرى حياته العاطفية الوجدانية وقممها.

وبين الآثار العربية القديمة التي نراها جديرة بمثل هذه المقارنة، مقطوعة لامرىء القيس يذكرها لنا الرواة في آخر معلقته وتتناقلها كتب الأدب بالعنوان « وصف البرق والمطر والغيث ». ونحن نوردها هنا، معتمدين على نسخة « أهلوارد » (1) التي نراها أصح من

---

(1) Paris 1913 — W. Ahlwardt — “The Divans of the six ancient Arabic Poets” ص ١٥٠

غيرها من حيث البحث العلمي ، وهي في الوقت نفسه ، أشد ملاءمة من سواها لتطور العاصفة بمقتضى العوامل الطبيعية .

أصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضهُ   كلمعِ اليدينِ في حَبيٍّ مُكلَّلِ
يضيءُ سناهُ ، أو مصابيحِ راهبٍ   أمالَ السليطَ بالذبالِ المفتَّلِ
قعدتُ لهُ وصُحبتي بينَ ضارجٍ   وبينَ العُذيبِ ، بعدَ ما مُتأملي
علا قطناً ، بالشيمِ أيمنُ صوبهِ   وأيسرهُ على الستارِ فيذبلِ
فأضحى يسحُّ الماءَ حولَ كُتَيفةٍ   يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنهبلِ
ومرَّ على القنانِ من نفيانهِ   فأنزلَ منه العصمَ من كلِّ منزلِ
وتيماءَ لم يتركْ بها جذعَ نخلةٍ   ولا أطُماً إلاَّ مشيداً بجندلِ
كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وبلهِ   كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمَّلِ
كأنَّ ذُرى رأسِ المُجيمرِ غُدوةً   منَ السيلِ والأغثاءِ فلكةُ مغزلِ
وألقى بصحراءِ الغبيطِ بعاعهُ   نزولَ اليماني ذي العيابِ المُحمَّلِ
كأنَّ مكاكيَّ الجواءِ غُديَّةً   صُبحنَ سُلافاً من رحيقٍ مُفلفَلِ
كأنَّ السباعَ فيه غرقى عشيَّةً   بأرجائهِ القُصوى أنابيشُ عُنصُلِ

هذا ونحن نرتضي بهذه القطعة على النحو الذي نقلها به لنا الرواة — إلاَّ أننا ظننا من حسن الرأي والذوق الأدبي أن نوردها ونحللها كوصف « عاصفة في مرتفعات نجد » (١) لما يخلع هذا العنوان من الوحدة التأليفية على أبياتنا ، فتبدو هكذا هذه الأبيات محكمة التآلف بعضها مع بعض وتزداد بذلك رونقاً وفناً .

نعم قد يجد بعضهم في صعوبة الألفاظ وبعدها عن المألوف المأنوس ، وفي غرابة بعض التراكيب ، عائقاً دون تذوق هذه القطعة تذوقاً تاماً — إلاَّ أن هناك وفرة كتب الأدب التي تشرح جميعها أبياتنا هذه شرحاً مستوفياً — فنقيض لهم أن يتجاوزوا هذا المانع

---

(١) ولقد سبق الى هذه الفكرة المستشرق الانجليزي « شارلس لايل : (Charles Lyall) في كتابه Translations of Ancient Arabia Poetry — (لندن) ١٩٣٠ — ص ١٠٣ — ١٠٦ . وتبعه فيها مواطناه « نيكلسون » و « جيب » في كتابيهما في الادب العربي .

الخارجي الشكلي الى عالم من الجمال لم يكن لهم عهد به من قبل ، إذ أنهم يدخلون في نفس الشاعر ويشاركونه عواطفه وشعوره ، ويغتبطون لصوره البكر ويستخفون طرباً لهذه « الموسيقى الداخلية » التي يتدبر بها الفتى العربي ، تطوُّر انفعالات عاطفته إزاء انقلابات العاصفة ومراحلها .

فما رأيك من حيث التصوير بوصف وميض البرق في جوانب السحاب بحركة اليدين في سرعتها وخفتها أو بخبو لهيب السراج بعد ان يندلع إذ عيّل الراهب الفتيل ليتشرّب الزيت. وما قولك بلطف صورة المكاكي وصفيرها وبها يكني الشاعر عن انقطاع المطر ومرح الطبيعة أثر ذلك . وأريدك واعياً الى الروعة الفنية التي يولدها امرؤ القيس في نفس القارىء أو السامع من أنه جعل هذه الصورة اللطيفة الى جانب صورة قوية صاخبة تمثل ضخامة العوامل الطبيعية وبطشها في أثناء العاصفة . ولذلك نرى ان الشعر العاشر هو قمة مقطوعتنا من الناحية التصويرية — ... وهو الى ذلك قمتها من ناحية الموسيقى الداخلية . وما لك لكي توافقنا على ذلك إلا أن ترجع الى قراءة الأبيات من الشعر الثالث وتضخم الصوت شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى البيت العاشر الآنف الذكر فتعطي لحروف صدر هذا البيت من « قاف » « وصاد » « وغين » « وطاء » « وعين » حقها من حيث القيمة الصوتية فتمثل بذلك لسمعك خير تمثيل دوي العاصفة المقبلة نحوك ، ثم انفجار السحابة والقاءها ثقلها من المطر . ثم قف بعد ذلك لحظة نكل مدتها الى ذوقك الفني ، وانتقل بعدئذٍ الى البيت الحادي عشر : ألا تشعر بنفسك حينئذٍ خارجاً من موجة موسيقية أولى ، موجة العنف والشدة والانقباض ، ومدفوعاً بموجة موسيقية أخرى ، موجة الانشراح والانبساط تحملك من غير وعيٍ منك وتدخلك في حركتها اللطيفة الرشيقة ، فيجعلك كل ذلك تدرك حسيًّا بشخصك المادي والروحي ، مرح الطبيعة بعد انقطاع المطر وزوال العاصفة ؟

وهناك مزايا أخرى لا نقف عندها ، بل نتركها لذوق القارىء إذ أن غايتنا هنا ليست درس مقطوعتنا بحدّ ذاتها وتحليلها تحليلاً أدبيًّا دقيقاً ، وإنما ألمحنا الى بعض مواطن الفن والجمال فيها محاولةٍ منا أن نساعد القارىء على مقارنتها مع مقطوعة لاتينية في وصف العاصفة أيضاً . ولقد أخذنا هذه المقطوعة من « فرجيل » أحد شعراء اللاتين العظام .

ولربما كان أعظمهم ، وهي منتزعة من مؤلفه المشهور « القرويات » Géorgiques

يفتتح « فرجيل » الباب الأول من « قروياته » بالدعاء « لميسان » الذي أحسن إليه ، واتخذه في كنفه ، ثم يطلب من الآلهة ، ولا سيما الحقلية منها ، ان تعضده في عمله الأدبي ثم يتغنى بحياة الحقل والقرى وأعمالها وأشغالها من حراثة وزرع ، ولا بد لكل ذلك من تعب وجهد وعناء — فيدفع ذكر هذا شاعرنا الى الحديث عن العنصر الذهبي وسعادة الانسان إذ ذاك ، ثم ينتقل الى الكلام عن أدوات الفلاحة التي يستخدمها الفلاح ، ثم عن دلائل خصب التربة وعن خزن البذر وإعداده ، ثم عن الزمن الصالح للزراعة ، ثم عن أمور تربية الدواجن ، وعما يجمل بالقروي أن ينصرف إليه من عمل في الصيف وفي الشتاء . وهكذا ينتهي به الأمر الى كيفية تدبير الوقت في الخريف والربيع أيام تفاجىء العاصفة الحواضر والقرى ، فينشد :

ما عسى أن أقول عن عواصف الخريف وأنوائه .
وعما ينبغي ، إذ يقصر النهار ويخف الحر ،
أن يكون المرء حريصاً عليه . أو [1] عند ما يقبل الربيع المطير ،
وتكون الحقول قد استوى فيها زرعها على سوقه ،
وتكون الحبوب الحليبية في السنبلة الخضراء قد سمنت .
كم من مرة في حين كان يدعو القروي الحصادين إلى حقوله الصفر ،
ويكون قد باشر في حصاده الزرع القائم على سوقه القصم ،
التحمت المعارك ، على جميع أنواعها ، تبين الأرياح ! هذا ما رأيت .
وكانت هذه الأرياح تستأصل الزرع المثقل ، من أعماق جذوره
وتدفع به بعيداً ، ثم بأعصار قاتم ،
كانت تأتي العاصفة ، فتقل السوق والتبن المتطاير ، وتذهب به .
وكم من مرة ، في الفضاء ، تلبدت المياه شآبيب ،

---

[1] لقد بالغنا في الايجاز اخلاصاً للنص اللاتيني ، ومعنى الجملة كما يلي : أو (ماذا أقول عما ينبغي أن يكون المرء حريصاً عليه) عندما يقبل الربيع المطير ،

وحضن في جوفه ، العاصفة الهائلة تصحبها الأمطار الدكن ،
ما النجمَ في علٍّ من الغيوم ، وما هي إلاَّ والسحابُ المتعالي ، يهبط على الأرض مدراراً
وسيل عظيم يغمر السنابل الضاحكة ، مجنى عمل البقر ،
ويجرها فتترع الخنادق ، وتفور الأنهار مرتفعة عن مجراها العميق
لجبه ، ويرتج في مضايقه المضطربة ، البحر
والآب (١) في وسط الغيوم السود ، بيده اليمنى الساطعة
يشرع الصاعقة ، ومن وقعها في أرجائها الواسعة ،
تهتز الأرض ، وتولي الوحوش هاربة ، وقلوب بني الانسان ،
في جميع الأقطار يعتريها خوف وضيع .
أما هو (٢) فلا يزال يرمي بسهمه الملتهب ، أو الاثوس ، أو الرودوب أو جبال السيرونيا الشامخة (٣)
فتتضاعف الرّياح ، ويتكاثف الوابل
ومن الزمهرير المنيف ، « الغابات تدوي تارةً ، وتارةً الشواطىء » .

* * *

وبعد أن يسدي الشاعر على قرويه النصائح ، ويوصيه خيراً بالورع والتقوى والذبائح للآلهة ولا سيما سارس ربة الحصاد وسائر الأعمال الحقلية ، يواصل في الانشاد ، محصياً دلائل انقطاع المطر وانتهاء العاصفة ، فيقول :

ولا تعود ، فتنشر للشمس الفاترة ، أجنحتها ،

---

(١) أي « جوبيتار » رب الآلهة والبشر . واسمه عند اليونان « زفس » كما هو معلوم .

(٢) أي « جوبيتار » دائماً .

(٣) كل هذه الجبال في بلاد اليونان ، أو مقدونيا . فجبل « أثوس » Athos في مقدونيا . وجبل رودوب (Rhodope) في « التراس » تراقيا (Thrace) وجبال « السيرونيا » (Mts. Céraunia) المعروفة اليوم بجبال (Della Chiuera) في أقليم الابير (L'Epire) والمرجح عندنا أن فرجيل يقلد هنا الشاعر اليوناني تيوكريت (Théocrite) المعروف أيضاً بقروياته وحلياته (Bucoliques) راجع هذه الاسماء في مؤلفات الشاعر اليوناني ٧٧؛٧ في أي طبعة كانت.

طيور الألسيون العزيزة (١) لدى ثاتيس (٢)
وأما الغيوم ، فتسعى شيئاً فشيئاً الى أسافل الأرض وتضطجع على الحقول .
وعلى رؤوس السطوح ، حيث يتوقع غروب الشمس ،
عبثاً يحاول طير البوم تحييه الليلي .
يظهر عالياً في الهواء المجتلي ، نيسوس ، (٣)
وبالشعرة الحمراء ، التي اجتزتها ، تؤخذ سيلاً .
وأينما ولت هذه ، تشق الأثير الخفيف بأجنحتها .
فنيسوس أبداً في أثرها ، لدوداً ، متحرشاً ، يصفق بجناحيه في الهواء .
وكيفما اتجه نيسوس في الهواء ،
فهي تخف في هربها ، وتشق بأجنحتها الأثير .
حينئذٍ تضغط الغربان على حلاقيمها ، وتتقعر بصوت مجلو ،
ترسله ثلاثاً أو أربعاً . وغالباً ، في مواقعها العالية ،
ولا أدري أي لذة غريبة تحدث فيها هذا الفرح ،
هي تعبث فيما بينها تحت الأوراق . يلذ لها ، بعد أن دفعت الأمطار ،
أن تعود الى مشاهدة صغارها ، وأعشاشها الحلوة .

---

(١) طير وهمي ، ورد إسمه في الأساطير اليونانية ، كان في زعمهم ، لا يحمل عشه الا على سطح بحر هادىء ، وكانوا الى ذلك يتفاءلون به .

(٢) إلهة بحرية ، وهي أم « اخيلوس » بطل الالياذة المشهور .

(٣) أصل هذه الصورة أسطورة يونانية فحواها ما يلي : « كان في رأس نيسوس (Nisus) ملك « ميغارة » (Megare) مدينة في اليونان ، شعرة ارجوانية اللون ، وكان مصير مملكته منوطاً بهذه الشعرة . فحدث أن مينوس (Minos) ، ملك اقريطش (Crète) حاصر مدينة (Megare) وكانت إسقولا (Scylla) بنت « نيسوس » تحب « مينوس » ، فاجتزت الشعرة الارجوانية من رأس أبيها وقبضت هكذا النصر لحبيبها . ومن هذا الحين ، حول نيسوس إلى باشق وحولت إسقولا الى سماناة ، وترى الوالد أبداً في اثر ابنته ليقتص منها ويعاقبها على سوء عملها .

أنا بعيد عن الزعم بأن قد أنعم عليها بشيء من روح الجن ، أو بأن قد منت عليها الأقدار بحكمة فوق طبيعتها ،
إلاّ أنه ، عندما تتنحى العاصفة وغيوم السماء المتناقلة .
وتعدل الى سبيل آخر ، وعندما يعمد جوبيتار الندى الى الأرياح
فيضم الى بعضه ما كان من الغيوم منبسطاً
وما كان منها ملتمّاً يبسطه ،
تتحوّل عند ذلك حالات الأرواح ، وأما القلوب ،
فهي تشعر باختلاجات غير التي كانت فيها أثناء كان الريح يدفع الغيوم .
فمن ثمّ أهازيج الطيور في الحقول ،
والقطعان الفرحة والغربان المرحة في نعابها .

هذه ترجمة قطعة من الأدب اللاتيني يعرفها شباب الغرب ويراجعونها في مطاوي كتبهم بعد ان تروّضوا بها وبغيرها من النصوص القديمة ، أثناء دروسهم الادبية ، على الأسلوب الصحيح السليم في الانشاء وعلى الصور والعواطف السديدة المحكمة في الرأي والتفكير . جلوناها متعة للنفس وترويحاً للقلب . ونحن ننشرها اليوم في الشباب العربي اذكاءً للعلم وخدمة للأدب . ولقد حاولنا ما وسعنا ان نجاري في الترجمة النص اللاتيني بكل أمانة واخلاص ، حتى النقل بيتاً بيتاً . واجتهدنا أثناء عملنا هذا ، ان نتجرد عن ذوقنا العربي وعن أسلوبنا العربي وعن صورنا العربية ، لكي تبرز عاطفة « فرجيل » والصور التي اتخذتها قوالب لها ، أمام مشهد العاصفة ، على طابعها الخاص لا يشوبها عنصر قط غريب عنها . وذلك قصداً منا أن ندع القارىء يجعل نفسه أمام نفس الشاعر اللاتيني معتمداً عليه وحده ، ليستنتج ما يسعه وما يشاء أن يستنتج من المقارنة التي لا مناص له من أن يقيمها بين المقطوعتين . واما نحن ، وان كنا نعترف للقطعة اللاتينية بالتفوق في بعض النواحي ، فاننا لا نرى أثرنا العربي قاصراً دونها من حيث وصف الواقع وابتكار الصور والايحاء العاطفي والاندفاع الشعري

مدرسة الآباء العازاريين — دمشق الاب فريد جبر العازاري

المجتمع والسياسة

في الأدب المصري الحديث

(هذا بحث قرأناه باللغة الانجليزية في مجلة الشرق الاوسط التي تصدر عن معهد الشرق الاوسط في وشنطن

وكاتب المقال هو المستر هيوارث دين J. Heyworth-Dunne كبير قارئي اللغة العربيـة في جامعة لندن بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ومن رجال معهـد شؤون الشرق الاوسط . ومن مؤلفاته كتاب « توطئة لتاريخ التربية في مصر الحديثة » . وقد نشر منه جزء واحد في عام ١٩٣٩

ونحاول هنا أن نترجم هـذا البحث متحرين الدقة في الترجمة غير مقيدين بما عن للـكاتب أن يقوله)

إنَّ الأدب العربي الحديث ، بل إن الأحداث التاريخية فيه ، تعرَّضت لإغفال كبير باعتبارها مصدراً لمواد دراسة التطورات الأخيرة في الكيان الاجتماعي لمصر . ومن أسباب ذلك أن ترجمة الـكتب العربيـة الى اللغات الأجنبية لا تلقى احتفالاً كثيراً ، وإن هناك عُرفاً بين الغرب بأن تعدّ الـكتابات المعاصرة أدباً منخفض المستوى

ومما لا معدى عن إقراره ، أن العناية بالأدب العربي القديم لهـا شأن كبير ، ولـكن التوفر على هـذا الاتجاه لا يصح أن يُعمي البصيرة عن حقيقة ماثلة وهي أنَّ هناك أدباً عربيًّا جديداً يبرز اليوم معتمداً الى حدٍّ ما على اللغة العامية التي أصبح لهـا اليوم شأنٌ وأي شأن من الناحيتين الادبية والاجتماعية .

ولهـذه الحقيقة قدر كبير في أعين طلاّب شؤون الشرق الأوسط ، لأن هـذا الأدب الجديد يوطىء لإلقاء نظرة ثقافية شاملة على العربيـة ، ولن يستطيع الغربيون المتتبعون لشؤون العالم العربي أن يلموا بها إلماماً طيباً إلاّ إذا وجهوا عناية الى طابع هـذا الأدب وجوهره .

والواقع إن النصف الأول من القرن التاسع عشر لا يهيء لنا مصادر عربيـة كثيرة لدراسة الأحوال السياسية والاجتماعية ، ولـكن هناك سفراً لا يسع دارساً لشؤون مصر

الحديثة أن يغفله وهو كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي . وهذا الكتاب — وهو في أربعة أجزاء — يحتاج حقًّا الى إعادة كتابته باللغة العربية لأن هناك عدداً من المخطوطات سهلة المنال تتضمن مواد حذفت في الطبعات الأصلية المنشورة، بسبب هوى محمد علي . وقد ترجم الكتاب الى اللغة الفرنسية بوساطة لجنة قوامها مصريون ، ولكنه مع ذلك قمين بأن ينقل نقلاً جيداً الى اللغة الانجليزية لأنه يسرد في إسهاب أحداث مصر التاريخية من عام ١٦٨٩ الى يوم وفاة المؤلف في عام ١٨٢٢ .

ويستطيع المرء بدرس الجبرتي أن يقف وقوفاً طيباً على حياة الشعب المصري ثقافيًّا وأدبيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا ، كما يقف على حياة الطبقات الحاكمة والعلماء . وقد أسرف الكاتب في اقتباس أقوال الكتّاب والشعراء المعاصرين له ، وكان بعضهم يوجّه نقداً الى أساليب الحياة المصرية في تلك الأيام الغابرة .

ومن الشعراء المشهورين حسن البدري الحجازي (وقد توفي عام ١٧١٨) . وإذا تسنى لطالب العلم أن يظفر بنقده للعادات الدينية والاجتماعية للشعب ، استطاع أن يزري بمعظم ما سجّله المراقبون الغربيون والسيّاح العابرون الذين لم يقفوا جيداً على أحوال مصر في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . ولكن ملاحظاتهم مع ذلك تقدّم دائماً على سواها باعتبارها في طليعة المصادر التي يعود إليها الباحث .

ولا يسع المرء أن ينتقص من قدر مذكرات الجبرتي، ولن يتسنى لنا أن نظفر بمرجع آخر ذي شأن إلاّ حين يدرج بنا التاريخ الى عامي ١٨٨٧ — ٨٨ حين نشر علي مبارك باشا موسوعته الموسومة « الخطط التوفيقية الجديدة » .

وفي عصر محمد علي (بين عامي ١٨١١ و ١٨٤٩) عرفت مصر أول مطبعة فيها نُصبت في بولاق — من أحياء القاهرة — في عام ١٨٢١ وهي لا تزال المطبعة الرسمية للحكومة . ولا يصحّ أن يحتجزنا « إنتاج » هذه المطبعة طويلاً ، ويكفي أن نقول إن المطبعة نشرت ٢٤٣ سفراً — ومعظمها منقول من اللغات الاوروبية — بين عامي ١٨٢٢ و ١٨٤٢، وكذلك ١٢٥ كتاباً باللغة التركية و١١١ بالعربية و٦ بالايرانية وقاموساً بالايطالية وليس لهذه المجموعة من المؤلفات قيمة أدبية وإن كانت الترجمة العربية للموضوعات العلمية لها قيمة لغوية واصطلاحية . وقد أصدر محمد علي أمره بإعداد هذه الأسفار العربية لتستخدم في المعاهد التي أنشأها باعتبارها ضرورة لازمة للأداة العسكرية . وإذا عثر الباحث على أزهار بين ركام تلك الأشواك فهذا من المصادفات المجرّدة .

وانفرد الشيخ رفاعة بدوي رافع الطهطاوي دون سواه بالمروق عن قائمة المترجمين

الطويلة . وهو ينحدر من أسرة عريقة في الصعيد ، تلقى دروسه في داره ثم في الأزهر طبقاً لمنهج المسلمين الصحيح . وكان جملة ما نشره نحو ستة وثلاثين كتاباً ، أبرزها كتاب « تخليص الابريز إلى تلخيص باريس » وقد كتبه بعد إقامته في باريس موفداً ليكون إماماً لاول بعثة كبيرة من الطلبة المصريين زارت فرنسا بين عامي ١٨٢٦ و ١٨٣١ .

وعدا القيمة السيكولوجية لهذا الكتاب باعتباره معرباً عن وجهة نظر معينة لمسلم تجاه لون من ألوان المجتمع أجنبي عن المألوف في بلاده ، فان للبحث قدراً اجتماعيّاً خاصاً لأنه يضمّ بين دفتيه ملاحظات دوّنها أول مسلم مثقف يتصل اتصالاً وثيقاً بأرفع دول أوربا حضارة ومدنية .

ورفاعة مفعم إعجاباً بفرنسا، وبما حققته من تقدم في مجالات الأدب والعلم والمعاهد والجامعات والمكتبات والمتاحف والمشافي. وقد أجرى مقابلة بين المسيحي الفرنسي والمسيحي المصري من أبناء وطنه ووصف الأخير بأنه نذر ماكر. وتحدث عن الصناعة الفرنسية ليبين المفارقات بينها وبين كسل المصريين. وأبدى اعجابه بالصحف وبالدستور الفرنسي وبمنهج الحكومة. ولم ينس — وهو مدرك إنه يكتب كتابه ليتلوه زملاؤه الأزهريون — أن يقتبس بين آن وآخر آيات من القرآن وفقرات من الأحاديث وأن ينتقد بعض عادات الفرنسيين الاجتماعيـة ولا سيما في ما يتعلق بسلوك المرأة . وأبدى روعه من كيفية تخاذل الرجل الفرنسي أمام الجنس اللطيف . أضف إلى ذلك ان وجهة نظر الفرنسيين تجاه الدين كانت بغير ريب صدمة لرفاعة .

ولا يفتقر الكتاب إلى ملاحظات تشيع الابتسام على محيا القارىء . ومن آيات ذلك سذاجة المؤلف عند دعوته للجلوس حول مدفأة — وهي مكان الشرف في البيت الفرنسي — وعدم قدرته على أن ينسى ما تعنيه كلمة « النار » عند المسلم من اشارة إلى « الجحيم » . وسرّه كثيراً أن يُلفي الكتب الفرنسية وقد خلت من الشروح والحواشي ذاكراً ان كل كتاب كان يدرسه في الأزهر تضمن « مكتبة » من أمثال تلك الشروح والحواشي .

وهذا الكتاب جديرٌ بأن ينقل إلى اللغة الأنجليزية لما انطوى عليه من نظرةٍ انسانية فضلاً عن قيمته التاريخيـة . وإن مقـام رفاعة في الأدب العربي الحديث يعدل مقـام لومونوسوف في الأدب الروسي . والواقع ان رفاعة ترجم بعض الكتب بالروسية لحساب محمد علي ، ويبدو أن ذلك كان تلبية لطلب حاكم مصر .

وبانقضاء عهد محمد علي في منتصف القرن التاسع عشر أُبطىء تقـدُّم مصر وأخذها بالأساليب الغربية حتى وُلي الحكم اسماعيل باشا (بين عامي ١٨٦٣ و١٨٧٩) فلقي التعليم عناية شخصية من الحاكم، وأُعيد فتح المعاهد ونظمت باشراف علي باشا مبارك مزاحم رفاعة. وفي نحو هذا الوقت ، بدأ نفوذ السيد جمال الدين الافغاني يجد صدًى في الحياة المصرية

الأدبية والدينية والسياسية . فقد كان الافغاني زعيماً لحركة الجامعة الاسلامية وأباً للنهضة الروحية في العالم الإسلامي . والواقع إن تأثيره لا يزال حتى اليوم ملموساً .

وقد بعثت لمعارضة حركة الافغاني، حركة أزهرية رجعية يتزعمها أمثال عليش والبيجوري . وتصدر الحركة الاصلاحية في مصر محمد عبده تلميذ الافغاني الوفي والشيخ العباسي شيخ الجامع الأزهر ونجل محمد المهدي وهو شيخ ذو نفوذ في عهد محمد علي وكان قبلاً قبطيًّا .

وفي هذه الحقبة نرى كذلك مبادىء النهضة الصحفية في مصر ، فقد غدا بعض الصحف الذي أنشىء إذ ذاك في مرتبة عالية . ورأينا كذلك مدرسة مفعمة بالنشاط قوامها مترجمون سوريون ومصريون تعاونوا معاً منتفعين بالجهود الصحفية ليقرّبوا المصريين الى التفكير الغربي وفي هذا حققوا نجاحاً يذكر .

وأخيراً ، وليس آخراً ، برزت طبقة من الساخطين قوامها ضباط في الجيش وعلماء ومفكرون لم يرضوا عن الحالة في مصر ، فعملوا على تشجيع الفلاحين المستضعفين الفقراء المثقلين بالضرائب على رفع أصواتهم إعراباً عن شعورهم .

وفي عهد اسماعيل اتخذ هذا السخط العام أساليب شتى . فكان أبرز أنصار الفلاح الذليل رجل مصري يهودي إسمه « جيمس صنوه » عرف في ما بعد باسم « الشيخ أبو نضاره زرقة » . والواقع ان من عجائب التاريخ أن يغدو يهوديٌّ رائداً أول في إنعاش الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية . وقد بدأ « صنوه » حياته العامة كرجل معني بالأدب المسرحي واستطاع فعلاً أن يصدر إثنتين وثلاثين رواية تمثيلية عربية . ولكنه ما كاد ينجذب الى السياسة حتى طغت شهرته في هذا المضمار على كل ما أصابه من نباهة ذكر من المسرح . وقد عمل على اتصال وثيق مع جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وبعونهما بدأ في عام ١٨٧٧ نشر جريدته التهكمية التي خلع عليها اسمه المستعار (أبو نضارة) . ولما كانت الجريدة متفرّدة دون سواها بهذا الطراز ، بادر كثيرون بتقليدها مستعملين اللغة العربية الدارجة التي كان متضلعاً منها . وتضمن كل عدد من المجلة حملة عنيفة على الحكومة ، فلما لم تستطع السلطات أن تتحمل الوصف المثير لحالة الفلاح المصري ، نُفي أبو نضارة فحمل معه صحيفته الى باريس وأصدرها هناك فصادف من الشهرة ما جاوز بغير ريب ما كان يمكن أن يظفر به في مصر . وكانت الجريدة توزع في جميع ربوع العالم الاسلامي وأصبحت لسان الحركة القومية المصرية وحركة الجامعة الاسلامية فالتفّ حولها جميع الثائرين من المسلمين .

ونفي من مصر كذلك جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . وشقّ مسلمون من تركيا وإيران وشمال أفريقيا وأوربيون من العاطفين عليهم — كويلفرد سكاون بلنت — طريقهم الى

باريس لينشطوا الحركة ويسدوا لها الرأي والمشورة . واستطاع ذلك اليهودي أن ينجز عملاً رائعاً من أعمال الارتياد بأن نظّم نشاط العصاة المسلمين ووجهه وكانت له يد في تأييد ثورة عرابي في مصر وحركة المهدي في السودان وحركة تركيا الفتاة . ومع ذلك استقبله سلطان تركيا وشاه إيران وكرّمه القطبان مثنيين على جهوده في سبيل الاسلام . وتعذّر الحصول على نسخ من جريدة أبو نضارة ، ولكنها مع ذلك كانت تقرأ وتنتقل النسخة منها من يدٍ الى يدٍ .

وفي وقت صدور مجلة أبو نضارة والصحف المحلية الأخرى بدأنا نرى مدرسة من الكتّاب عزم أفرادها على أن يعيدوا إفراغ اللغة العربية في قالب جديد لتستطيع أن تعبر عن أفكار جديدة ناشئة عن الاتصال بالغرب . وإلى هؤلاء يرجع الفضل في إبراز الأدب العربي الجديد . وإذا قلبنا مصنفاتهم صفحة صفحة استبانت لنا أمثلة لعبارات وتراكيب عربية نقلت عن اللغات الأوربية حرفاً حرفاً متحررين مما درج عليه الأدب العربي وسرعان ما أدّى ترادف الأيام وألفة المصريين لهذا الفن الجديد إلى استحداث أسلوب عربي طيّع مرن جديد .

وقد أفضى إفلاس البلاد في عهد اسماعيل باشا وادخال المراقبة الثنائية (البريطانية الفرنسية) للإشراف على مالية مصر في عام ١٨٧٩ إلى نشوء ثورة عرابي — تلك الثورة التي مهدت لجميع الثورات العربية الأخرى — ثم إلى احتلال البريطانيين لمصر في عام ١٨٨٢ . وغدت العلاقات مع بريطانيا العامل المهيمن في جميع مراحل السياسة المصرية منذ ذلك الوقت . وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٨٢ و١٩١٤ رأينا عدداً من الكتّاب المبرزين لا يشار إلى كتاباتهم إلاّ قليلاً ، ولكنهم يحتاجون إلى دراسة عميقة إذا أريد الوقوف وقوفاً طيباً تامّاً على كيفية تصرّف مصر سياسيّاً واجتماعيّاً تجاه ضغط الغرب العنيف .

ولنذكر من أولئك الكتّاب سليم النقاش وهو من السوريين الذين استوطنوا مصر واستثمروا مواهبهم الأدبية في خدمة قضية مصر . وإن مصنفه الفخم « مصر للمصريين » الذي صدر في عام ١٨٨٤ ليعدّ ضرورة لا معدى عنها لمن أراد أن يقف على تاريخ مصر السياسي في تلك الحقبة . فهو يتضمن معلومات مستفيضة لا تعرف في سواه من المصنفات عدا إنه انتصف للفلاح وحأر دفاعاً عنه حتى جاوز في ذلك سواه من الكاتبين .

ولا يسع أمرأً أن ينسى كتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وقد سبقت الإشارة إليهما عند الحديث عن عصر اسماعيل باشا . فقد أسهما بقسط وافر في شؤون الدين والسياسة والاجتماع والشؤون الاجتماعية للشعب المصري . وتلك البحوث مدرجة في كتاب

« العروة الوثقى » وفي الجزء الثاني من ترجمة حياة محمد عبده الذي جمع أصوله المرحوم الشيخ رشيد رضا وهو تلميذ من تلاميذه . والكتاب الأول نشر عدة مرات وهو سفرٌ ممتاز له مقام معلّى . وقد جمع الشيخ علي يوسف كتاباته في تلك المشكلات عينها وضمّنها كتاباً نشر في عام ١٨٩٠ بعنوان « منتخبات المؤيد » . وكان علي يوسف قطباً سياسيّاً مرموقاً في عصره ، وصديقاً للخديو ورفيقاً ملازماً لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

وفي أثناء العشرين عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ظهر كذلك عدد وفير من الصحف والمنشورات بقلم كتّاب اشتركوا خفية في الحياة السياسية في مصر . والواقع أن من أكبر روّاد هذه المدرسة قطبٌ سياسي ومحرّض تخشاه السلطات كثيراً وأعني به عبد الله النديم . ومن أبرز ما أصدره مجلة « الأستاذ » وهي وثيقة نادرة المثال في درس شؤون مصر . وعدا نشاطه السياسي ، ظفر بشهرةٍ كشاعرٍ وخطيب . وكان من المنظمين الرئيسيين للثورة العرابية ، وقد نفي من مصر في مناسبات شتى ، ثم مات في القسطنطينية في عام ١٨٩٦ . وفي هذا العصر نرى عدداً كبيراً من الصحف تميط اللثام عن قدرة المصري العجيبة على أن يستغلّ ذكاءه وروحه المرحة في الصحافة السياسية . ومعظم هذه الصحف يستحق الدراسة والتحري ، وقد كان رؤساء تحريرها رجالاً نذروا حياتهم للعمل في السياسة الهوجاء مستعدين على الدوام لأن يؤدّوا الثمن كاملاً . وفي ما يلي بضعة أمثلة على الصحف التي صدرت ومواعيد صدورها وهي :

أصدر محمد توفيق مجلة « حمارة منيتي » في ٢٣ فبراير ١٨٩٨ وأصدر محمد النجار « الأرغول » في أول سبتمبر ١٨٩٤ وحسن توفيق مجلة « الأرنب » في عام ١٩٠٦ ومحمد توفيق « المقرعة » في ٢ مايو ١٩٠٥ ومحمد حمدي ومحمد هلالي الابياري « الزمان » في ٧ نوفمبر ١٨٩٨ وصدرت مجلة « غزل البنات » ولها إسم آخر هو « دقن الباشا » في فبراير ١٨٩٩ ثم صدرت مجلة « المهدي » في ٨ يوليو ١٨٩٨ و « الفيلسوف » في ١٠ مايو ١٩٠٤ ثمّ أصدر عبد الرحمن الهندي مجلة « عفريت الحمارة » في أول مايو ١٩٠٦

وهناك لون آخر من ألوان الدراسات ، وأعني به « كتاب حاضر المصريين » لمحمد عمر وقد نشر في عام ١٩٠٢ . وقد حلل عمر بالتفصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي للمصريين و « أسباب تدهورهم » كما جاء في عنوان الكتاب الفرعي . وإن فقرات كثيرة من ملاحظاته ما فتئت تقتبس حتى اليوم في الصحف وفي سواها من الكتابات . ويبدو أنه لم يكن إلا واحداً من رجال مدرسة المعجبين بأوربا على حساب مصر ، لأننا نرى فتحي باشا زغلول يصدر كتاباً عن « سر تقدم الانجليز السكسونيين » ، وأمين فكري باشا يصدر سفراً في ثمانيمئة صفحة في

عام ١٨٩٢ عنوانه « إرشاد الألبا الى محاسن أوربا » وكان مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة في عهد كرومر المعروف، بأنه ربيبة البريطانيين من أكبر العاطفين على جهود هذه الطائفة.

واذا انتقلنا الى الجانب المشرق للفترة السابقة لعام ١٩١٤، اتضح لنا أن زيادة الرخاء — فضلاً عن جنوح المصريين الى حدٍّ كبير عن الاشتراك في النشاط السياسي والاقتصادي للبلاد — أفضى الى تنشيط الاستغراق في الشؤون الاجتماعية. فشهدت تلك الحقبة نشوء مدرسة مصرية للموسيقى بدأها عبده الحمولي وعزّزها بعده كامل الخلعي الذي أخرج كتابين عن الموسيقى. وكانت تلك المدرسة بدورها سبباً في بعث مدرسة أخرى من الشعراء الشعبيين والمغنين. وسرعان ما بدأ المجتمع يجعل منها موضع لهوه وترفيهه. ودار كثير من هذا الاتجاه الاجتماعي حول مسرح ألف ليلة وليلة، ولكن التشجيع الذي لقيه هؤلاء المغنون من بعض الأفراد كان له فضل كبير في ما حققته الموسيقى والأغاني من ارتقاء. وكان أقطاب المجتمع يتبارون للظفر بشرف دفع أقصى أجر يطلبه موسيقي أو مُغنٍّ. ويكفي للاشارة الى ما أسهم به أمثال هؤلاء المرفهين في الحياة الأدبية أن نذكر حسن الآلاتي الذي أخرج مجموعة من ثلاثة مجلدات تتضمن لمحات عن الحياة الاجتماعية لأهل القاهرة وتنطوي على صور عن حياة الليل لا يكاد يعرف لها مثيل عند غير المصريين. ويكاد حسن يكون بوهيمياً في خصاله، وقد جمع حوله « الأدباتية » من الشعراء والكتاب وذوي الألباب وسواهم. وكان لهم نادٍ خاص خلف « الكتبخانة » وكان إسمه المألوف الشائع « المضحكخانة » أي بيت الضحك. وكان من أصدقاء حسن، محمد البابلي وهو من المصريين الأذكياء البارزين، وقد نشر إبنه مجموعة من أقواله. ومنهم محمد الرشاد ومحمد المويلحي والشاعر المشهور حافظ ابراهيم. وهؤلاء جميعاً ابتدعوا ما يمكن أن يعدّ نمطاً جديداً للغة العربية نقله عنهم في ما بعد زغلول باشا الزعيم القومي.

ومن فروع الأدب التي كثيراً ما تُغفل، مع أنها تعدّ دراسةً خاصة بسبب كتابتها باللغة الدارجة في الأغلب، الشعر الشعبي الذي يفصح عن كل ما يتميز به المصريون من مرح وذكاء وحذق. ولهذه المدرسة شأن من الناحيتين الاجتماعية واللغوية، لأنه بالاستعانة بهذا الأدب يمكن النفاذ جيداً الى فلسفة الشعب، فما نعرف مرآة أصدق من مرآة الأدب الشعبي. وقد صوّر لنا حسن صقر مثلاً صورة للحياة الاجتماعية والسياسية حتى الحرب العالمية الأولى بأسلوب مثير وإن كان سهل الفهم محبوباً من الجميع وتصويره للحياة في حيّ الأزبكية في القاهرة في عام ١٩٠٥ تصوير متقن، وقد كانت الأزبكية بؤرة المشارب والبارات وحياة الليل. وعقب حادثة دنشواي في عام ١٩٠٦، وجه حسن صقر قصيدة

الى كروس هي خير نموذج لهذا اللون من الادب . وفي وسع المرء أن يدرك منها كيف ينشد المصري سلوى في الشعر الشعبي المماثل في حالات يكتنفه فيها وهنٌ سياسيٌ ، لأن الشعر يخيل له إنه على قدم المساواة مع كروس الكبيرا . وعنده كذلك قصيدة غزلية في بني اسرائيل وأخرى عن الحرب الروسية اليابانية وثالثة عن الطيارين الترك الذين أسقطهم البريطانيون ومجموعة قصائده «ديوان» تستأهل دراسة لأنها تهيء لنا متعة الوقوف على وصفٍ للحياة المصرية

وفي الفترة التالية للحرب العالمية الأولى ، نرى أمامنا نتاجاً جديداً وفيراً . ومن أهم هذا النتاج ظهور مدرسة جديدة لكتّاب الرواية والاقصوصة ، ومن روّادهم الاوائل هيكل . وقد ظهرت أوّل رواية له «زينب» في عام ١٩١٤ ، ولكنه لم يجد الشجاعة الكافية ليقول إنه مؤلفها بسبب حداثة العهد بهذا الفنّ الحديث. وعالج هيكل كثيراً من المشكلات المتصلة باستخدام اللغة العربية الدارجة في الحوار المكتوب .

ومن الروائيين في تلك الفترة عينها ابراهيم المازني مؤلف «ابراهيم الكاتب» وقد عارض في استخدام اللغة الدارجة من حيث المبدأ . وبينما يمدّنا هيكل بدراسة اجتماعية مقدورة للحياة في الريف ، يصف لنا المازني الدوائر الأدبية والفكرية التي كان على اتصالٍ بها

والتيموران محمد ومحمود يقدّمان لنا نتاجاً من خير ما يجتذب اهتمام الدارس للحياة المصرية . فكتاب «ما تراه العيون» لمحمد يحتوي على صورٍ كثيرة للحياة اليومية . بينما تعمق محمود في دراسة موباسان وتشيكوف فاستطاع أن ينشىء مدرسة مصرية لكتابة الأقصوصة يقلّدها كثيرون من الكتّاب في جميع البلدان الناطقة بالضاد . ومن حظ التيموريين أنهما ينتميان إلى أسرة عريقة فاستطاعا أن يدخلا «الهيبة الارستقراطية» الى ميدان الادب وهو عامل له شأنه في مصر . وقصص محمود ، عدا إنها تسجل تسجيلاً أميناً جميع نواحي الحياة المصرية ، مكتوبة بأسلوب رائع ينم عن ريشة فنانٍ صَناع .

وليس في الأدب العربي الحديث كتاب كبير الوقع في النفس مخلص في التصوير صادق للحياة ككتاب «الأيام» لطه حسين ، وهو قصة حداثته . فان كيان الأسرة بأسره موصوف وصفاً نابضاً بالحياة شاملاً ، ولاسيما مشاهد الحياة المدرسية ووصف الحياة التي يدرج عليها رجال الدين . ومما يؤسف له أن هذا الكتاب نقل إلى الانجليزية نقلاً رديئاً بسبب افتقار المترجم إلى الالمام بالأوضاع التي تحيط بالرواية ، وإخفاقه اخفاقاً تامًّا في صوغ الأسلوب الرائع الأنيق لطه حسين باللغة الانجليزية . ولقد أنتج قلم طه حسين عدداً كبيراً آخر من الكتب — معظمها يعالج تاريخ الادب ونقده — وأشهرها كتاب «مستقبل الثقافة» . وفي تلاوة هذه الأسفار خير توطئة للوقوف على الأدب العربي الحديث .

وتوفيق الحكيم – وهو كاتب معاصر آخر – له أتباع كثيرون ، ولا ريب في نبوغه وذكائه . وكتاب « عودة الروح » هو من خير الدراسات عن الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية في السنين الأولى للثورة بزعامة زغلول باشا .

وبمقابلة هذه الرواية بكتاب « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي في القرن التاسع عشر ، يستطيع المرء أن يدرك فكرة عامة عن التحولات الاجتماعية الكبيرة في السنوات المئة والخمسين الماضية أسوة بما فعله صلاح الدين ذهني في كتابه « مصر بين الاحتلال والثورة » . وإن درس هذين السفرين يفصح كذلك عما طرأ من ارتقاء على اللغة ، وآية ذلك مرونة أسلوب توفيق الحكيم وقدرته على الاعراب عن آرائه في جذالة ويسر على النقيض من السالفين ذوي الأساليب الجامدة الجافة . ومن مصنفات توفيق الحكيم الأخرى – وهي كثيرة – لامعدى عن الاطناب في إطراء دراسته الاجتماعية البارعة « يوميات نائب في الارياف » ففيها وصف لألوان من الأخلاق يصادفها القاضي في البلاد بكل ما تنطوي عليه من شذوذ سواء كان أصحابها من ضباط البوليس المقامرين أو من الخفر أو من حكام الأقاليم .

والمنفلوطي هو من الكتّاب المملوئين حياة الذين تجدر دراسة كتبهم للوقوف على حياة مصر السياسية والاجتماعية . ويلقب المنفلوطي « بأبي المقالة المصرية » . ومقطوعاته تهيىء المرء أن يقف على الأحوال العامة ، ولكنه ثقيل متشائم وقد أصبح اليوم قديماً في منهاجه . وعلى النقيض منه نرى محمد أمين حسونة صاحب عقل يقظ يدرس عن كثب كيفية التوصل بالأقصوصة لبسط صور الحياة المصرية .

وسهير القلماوي كاتبة شابة لها مستقبل عظيم على الرغم من نظرتها الجدية المبالغ فيها ، وإلحاحها في استعمال العربية الفصحى . وكتابها « أحاديث جدتي » وصف مشوق لحياة الأسرة .

ولحسين شفيق المصري كتاب عنوانه « الحاج درويش وأم اسماعيل » وقد أصدره ابن اخته عبد السلام علي نور وهو فنان مصري نال شهرة طيبة في أوربا لنقوشه على الخشب والمعادن . وحسين شفيق المصري محرر بارز في الصحف باللغة الدارجة ، وقد عرف بوجه خاص بمجلة « الفكاهة » التي كان توزيعها واسعاً ، وجريدة « الناس » .

و « مذكرات فتوّة » لحسني يوسف و « مذكرات عربجي » لحنفي أبو محمود و « المغفل » لعبد الله حبيب تعد نماذج صادقة لنواحي الحياة الشعبية المصرية .

وقد أسدى أدب المجلات خدمة جلى لمساعدة الكتّاب الناشئين في مصر ، وأبرز مجلتين أسبوعيين في الوقت الحالي هما « الرسالة » ويرأس تحريرها أحمد حسن الزيات و « الثقافة » ويرأس تحريرها أحمد أمين .

وأحمد أمين كاتب ذي معرفة عظيمة وهو متمكن من اللغة العربية . وقد أصدر عدداً من الأسفار في تاريخ الاسلام وثقافته ، وكانت له يد طولى في انشاء مركز لدراسة العربية في مصر . وفي كتابه «فيض الخاطر» اختار أحمد أمين أجود مقالاته في موضوعات شتى في العلم والدين والحضارة والسلوك الاجتماعي والمادية والاصلاح والموسيقى ، وفيه كذلك صور من الحياة اليومية ، كمقالته التي أفردها للحديث عن النجار المصري . وكمؤرخ تعلم كثيراً من الغرب ، واستطاع هو وجرجي زيدان أن يؤثرا تأثيراً بعيد المدى في أدب التاريخ العربي الحديث . وقد أصدر زيدان كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » في عام ١٩٠٢ وكتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » في عام ١٩١١ مع أن الحكومة المصرية اضطرت في عام ١٨٩٣ الى تكليف فان ديك الاميركي وفيلبيدس اليوناني أن يصنفا كتباً مدرسية عن التاريخ العربي لتدرس في المعاهد المصرية .

ومن الأدباء الممتازين في العصور الحديثة المرحوم عبد العزيز البشري نجل سليم البشري من شيوخ الجامع الأزهر . وكتابه « المختار » يضم بين دفتيه صوراً كثيرة للحياة المصرية .

وعباس العقاد كاتب آخر ممتاز وناقد أدبي مقتدر ، تعالج مجموعة مقالاته نواحي الارتقاء الفكري في مصر الحديثة

وفكري أباظة ، وهو نائب وصحفي ، يرقب الحياة المصرية عن كثب ، وقد أصدر أخيراً سلسلة جيدة من المقالات عن الشباب المصري (هي الضاحك الباكي) .

وابنة الشاطىء غدت اليوم صوت الفلاح المسموع وكتبها ومقالاتها في هذا الموضوع لاغنى عنها

وقد أصدر مريت بطرس غالي في عام ١٩٣٨ كتاباً عنوانه « سياسة الغد » وهو من أنفس الدراسات الاجتماعيـة التي صدرت بجميع اللغات ، ومما يؤسف له إنه لم تنشر له ترجمة انجليزية حديثة .

وفي العام عينه كتب حافظ باشا عفيفي دراسة اجتماعية ممتعة عنوانها « على هامش السياسة » وبعد عام أصدر عبد الحميد فهمي مطر كتابه « التعليم والعاطلون » ليعالج فيه مشكلة مصرية حيوية .

وقد يكون في هذا العرض الموجز ما يعطي صورة عامة لجهود المصريين الأدبية والتقدم السريع الذي أحرزوه . ومن العسير أن ندرك كيف ان ناشراً مثل جورج يونج جرؤ على أن يقول في عام ١٩٢٧ « إن مصر الحديثة لا لغة لها ولا أدب ولا أساطير خاصة بها » . ولم يكن هذا بالكاتب الوحيد الذي يفضي بمثل هذه البيانات المضللة .

(ترجمها عن الانجليزية) وديع فلسطين

الروحانية وتطورها

تابع المنشور في ص ٢٥٢

ولكن هذه العقيدة ، كما يقول الأستاذ « تشارلس » ، لم تنجح أبداً في تجريد العقيدة القديمة التي ناظرتها تجريداً كليًّا من قيمتها . فان مبدأيهما المتناظرين في النفس والرُّوح ، قد تمشَّيا معاً وسارا متحاذيين .... وكأني بالاستاذ تشارلس يريد أن يقول : إن التصور البدائي في « الروح الشبح » ، قد عاش عند العبرانيين ، الى جانب التصور الثاني الذي كان أقل شيوعاً وأغلق على الفهم .

كما أن الفكرة في « الروح الشبح » ظلت واسعة الانتشار ثابتة القدم بين العبرانيين ، بالرغم من التعاليم التي أتى بها الانبياء وكوَّنوا بها تصوراً أغلق من التصور الأول في شخصية الانسان ، كذلك تجد عند اليونان أن « الروح الشبح » ظلَّ محتفظاً بمكانته في العقائد العامة ، في الوقت الذي مضى فيه الفلاسفة يقيمون القواعد من أدب تقليدي مأثور أجرى على تصور الروح أو النفس تغيرات كثيرة ، وفيه تركزت أصول كل وجه من وجوه التأمل أو النظر التي تناولت ذلك التصور فيما بعد تعليقاً أو تقريراً .

ان صفحات هوميروس ترينا بجلاء أن أغارقة العصر الهوميري اعتقدوا في « الروح الشبح » . غير أن تصورهم في هذه الناحية قد اختلفت جل الاختلاف في بعض تفصيلاته عن « الروح الشبح » الطرازي الذي شاع في الروحانية البدائية ، أو ذلك التصور الذي استقرَّ عند الشعوب البربرية والهمج في خلال كل العصور . إن « الروح الشبح » الطرازي يحمل كل القوى التي تكون في الانسان الحي ، سواء أكانت بدنية أم عقلية ، ولا يفترق عن الشخص الحي ، على الأغلب ، إلا في أنه أقل مادية وأقل استسلاماً لحدود الزمان والمكان . أما « الروح الشبح » الذي عرف عند أغارقة هوميروس وسمي عندهم « إيدولون » jedolon أو پسوخي Psyche فلم يعتقد بأنه يختص بمواهب عقلية ، أو هو على الأقل لا يختص بكل المواهب العقلية التي للانسان الحي . لقد كان طيفاً ظليًّا لا غير ، ينفر عن جسم الانسان المحتضر من طريق الفم أو من جرح مفغور . وهذا الخيال أو الظل ، يتخذ طيف حياته الاولى وخصائصها من حيث القدرة ، إذا ما مضى منحدراً الى أرض « هادس » Hades . أما القوة والارادة ، وكذلك العقل والقوى العاقلة على وجه عام ، فقد فرض بأنها تحل في منطقة الحجاب الحاجز من الجسم ، وانها تنحل بل وتندثر عند موت البدن .

أما العقول اللامادية أو المتجردة عن الأجسام ، فلم تكن معروفة عند أغارقة ذلك

العصر وحتى آلهتهم، فانها كانت تعيش على الأرض ، وكانت مشخصة في أجسام لا تختلف عن أجسام الناس إلاّ في أنها معصومة من المرض ومن الموت .

هذه الظلال إذا نفيت مرة الى أرض « هادس » ، فانها تؤسر هنالك وتسجن. ومن هنا نجد أن دنيا هوميروس كانت مبرأة عن الفزع من الأشباح التي غشت فيما مضى ولا تزال تغشى على عقول العديد الأغلب من الجماعات والأمم. كذلك لم يكن في دنيا هوميروس من محلّ لعبادة الموتى . ذلك بأن الموتى لم يكن لهم من محل معترف به في هذه الحياة ، ولم يكن في مستطاعهم أن يؤثروا في حياة الإنسان الدنيوية بالخير ولا بالشر .

وليس لدينا من أسباب تحملنا على الشك في أن ضرباً من الروحانية يمت الى الصنف الشائع منها كان ذائعاً من قبل عصر هوميروس بين الاغارقة . فإنّ إثارات من هذه الروحانية وما يتبعها في العادة من عبادة الموتى ، قد عاشت فيما روي عن أخيلس Achilles وفطروقلوس Potroclus والضحايا الجنائزية من الحمر والغنم والثيران والخيل وشباب طروادة. والظاهر أن هذه لم تكن غير بقايا طقوسية استمدت من عبادة الأرواح التي ذاعت وانتشرت في عصر سابق ، حيث بعثت الأرواح الخشية والخوف في القلوب بقواها الناشطة ، وتدخلها في مرافق الحياة الانسانية (١) .

من كتابات هوميروس ما يظهر لنا حالة فكرية سابقة قد نستخلص منها ميلاً أو نزعة نحو تشخيص المجردات وإلباسها أثواباً مادية. ولقد كان لهذه النزعة آثارها البينة في ضروب الفلسفة التي ذاعت فيما تلى ذلك من العصور . ففي بعض الأحيان نظرت الروح الى الحياة ، أي اعتبرت هي والحياة شيئاً واحداً ، وأن القوى العاقلة ، وقد اعتبر أن مقرها منطقة الحجاب الحاجز ، قد رُدت الى ما سمّيَ « ثوموس »(٢) أي القلب Thomos أو « بولي » (٣) أي الارادة Bouly وهما ذاتيتان ، إن تبعتا البدن ، فانهما لا تختصان بشيء من الأعضاء البدنية .

إن حياة « الروح الشبح » في أرض « هادس » ليست بقاء للشخصية . ذلك بأن الجسم، عند أغارقة ذلك الزمن ، كان جزءاً جوهريّاً من لوازم الشخصية . ومع هذا فقد يظهر في هوميروس ، وربما كان ذلك إضافة على الأصل ضُمّت فيما بعد ، اعتقاد بخلود نفر قليل من ذوي الحظوظ . هذا الخلود لم يكن خلوداً للروح وحده ، بل خلوداً للشخص كله ، وكان

---

(١) See: "Psyche" : Erwin Rhodes, second edition, Leibzig. 1906

(٢) Thomos = the soul : also the life, breath, Lat. anima. the soul, heart. Lat. animus, Lidd & Scott. p. 323

(٣) Bouly = will, determination. Lidd & Scott. p. 134.

يعتقد بأنه انتقل بجسمه بفعل بعض الآلهة الى « جزائر السعداء the isles of the bleet أو الى « الرحاب الالوزية » : The Elysian Fields وهي أصقاعٌ بعيده قصيَّة قد يكشف عنها في ناحية من نواحي الأرض بارجٌ جريء أو ملاّح فاره . وهذه الفكرة ، التي ربما كانت خيالاً شعريًّا قد شغلت مكانًا ثابتًا في المعتقد السائد، بعد أن تضمنتها الاشعار الهوميرية . فلقد كانت تعقيباً طبيعيًّا على تلك الصورة التي صبت فيها الروحانية الاغريقية .

إن هذه المعتقدات الهوميرية ظلت مقبولة ، على وجهٍ عام ، حتى القرن السادس قبل الميلاد عند ما نشأت طبقة جديدة من الخالدين ، وهم رجال من طراز أولئك الذين يعيشون في « جزائر السعداء » لم يعرفوا الموت ، وأنهم بقوة آله من الآلهة ، قد زُجُّوا في خلال صَدْعٍ أو غارٍ من الأرض ، فابتلعهم الزلزال ، أو ضربتهم إحدى صواعق « زيوس » : Zeus فأخذوا بها ولكن لم تقتلهم . هؤلاء الابطال أصبحوا موضع عبادات محلية في كثير من الاحوال . ولا يبعد أن تأثير هذا المعتقد ، وتلك العبادات ، كان سبباً في أن يعود معتقد بقاء الشخصية الى الحياة ، ذلك المعتقد الذي عاش قبل العصر الهوميريّ . ولقد يظهر أن مذهب « هسيود » : Hesiod في « العصر الذهبي » : Golden Age كان له أثر كبير في العودة إلى ذلك المعتقد . فقد عَلَّم أنه بالرغم من أن رجال العصر الذهبي قد بادوا وفنوا ، فان أرواحهم قد بعثت بارادة زيوس الى حياةٍ أخصب وأغنى من حياتهم التي قضوها في أمر البدن ، وأن هذه الارواح ، وقد شركت الآلهة في خاصية الخلود ، قد عرفت ، كما عرف الآله ، باسم « ديمون » (١) : Daemons ، وأنهم يعيشون بين الناس غير منظورين ، عارفين بأعمال الناس ، خيره وشرّه .

لا مجال إلاّ لقليل من الشك في أن هذه المؤثرات كان لها فعل بالغٌ في بروز عبادة الموتى وتغلغلها في ثنايا الحياة الدينية عقيب العصر الهوميري عند الاغارقة . لم يخص كل الناس بالبقاء بعد موت البدن ، وإنما خُصَّ بذلك كبار القواد والذين امتازوا في الحياة عن غيرهم من الناس . في ذلك الوقت حلت عادة الدفن في الأرض محل المحرقة الجنازية التي عرفت في عصر هوميروس ، حيث ذاع الاعتقاد بأن روح الميت تحوم بمقربة من المكان الذي يتضمَّن رفاته . ولمَّا أن كان المعتقد أن هذه الارواح وفيها القدرة على التأثير في حالات الناس ، وبخاصة حالات أحفادهم وسلائلهم ، فقد أصبحوا موضع عبادة من أفراد الأسرة

---

(١) Doemon : Lat. from Greek (daimon) — a god, a spirit). a spirit, a benig of another world. (Demous. Encycl. Dict. p. 652. vol. II

وتدل لفظة « ديمون » في اليونانية على اله أو روح أو كائن من عالم آخر

ومن هم حولها من الناس ، وخُصّوا بطقوس تقرُّبيّة أو توسُّليّة ، وقدمت الى البطل الميت التقدمات ، من الخمر والعسل والزيت والنعاج المحروقة ، كما تضمنت تلك العبادة في مجموعها الاعتقاد بأن الميت يعيش بين أهله وعشيرته وأن الموت لم يغير منه إلاّ القليل . غير أن هذا البقاء لم يحتوِ فكرة خلود الروح ، بل إن بقاء الروح واستمرار حياتها تتوقف على العكوف على تلك العبادة ، يقوم بها الأصدقاء ، وبالأخص أعضاء الأسرة ، يتوجهون بها إلى البطل الميت .

إنّ البطل إنما يحظى بتلك الحياة بعد الموت بفضل إله من الآلهة ، يَمثُل عنه في العادة هاتفٌ دلفي . ولكن هذه العملية المعقدة سهلت مع الزّمان ويُسّرت ، فذاعت وتضاعف عدد الأبطال بسرعة حتى لقد أصبح من الشائع المسلم به ، أن كل الذين يسقطون في حومة الوغى ، ينالون حظوة البقاء ، كالأبطال تماماً .

إن باباً واسعاً للاعتقاد بالحياة بعد الموت قد فتح بنشوء الأسرار « الالوزية » . استمدت هذه الأسرار من عبادة « دماطر » Demeter وفرسيفون Persephone : الآلوزيّان وهما إلـهين موضعيّين مقرّهما العالم السفلي . اعتُرف بهذه العبادة في أثينا ، ثم تدرّجت مذ اعتنقوا ذلك فاتسع نطاقها اتساعاً عظيماً ، حتى لقد سمح للعبيد تعلم أصولها والتفقه فيها . أما أولئك الذين اعتنقوا أصول هذه العبادة ، فقد بشر لهم بحياة أخرى يحيونها في المستقبل . حياة أقل خيالية وأكثر واقعية من حياة الدنيا السُّفلى ، حياة الظلال المظلمة ، التي لا يتطلع الذين هم لم يعتنقوا أصول هذه العبادة إلى أكثر منها . بذلك أصبح الأمل في حياة مستقبلة أمراً ممكناً لجميع الناس . ولكن بالرغم من هذا ، لم يقبل معتقد خلود الروح قبولاً عامّاً شاملاً .

ظهر ذلك أول ما ظهر في إغريقية ، بظهور عبادة « ديونيسيوس » ، التي تركز مظهرها في فناء العابد فناءً باطنيّاً في الآلهة . وفي الصورة الأصلية التي لابست هذه العبادة كما مورست في « ترافيا » ، كان العابدون يروّحون في أخذةٍ من الرقص الوحشي . وفي ذلك الانفعال يتصلون بالإلـه . أما الروح فيظنّ ، في مثل هذه الحال ، أن تنفصل عن الجسم وتطوف في أماكن بعيدة ، حيث تتصل بالإلـه والدّيمونات daemons

انتشرت هذه العبادة من ترافيا في أنحاء اغريقية ، واندمجت في عبادة « أفولّون » Apollo وكان من أثر انتشارها أن اعتنق الناس فكرة أن الروح بكل خصائصه العقلية يمكن أن ينفصل عن الجسم . ثم اعتقدوا أن الروح إنما فطر ليكون له مصيراً أعلى وأسمى من حياته في أسر البدن ، وأنه ما حلّ في البدن إلاّ مرغماً مجبراً ، وأنه لا بدّ من أن يتحرّر وينطلق

يوماً ما من ذلك الأمر المزري ، وأن الشعائر التعبدية التطهيرية ، هي طريق ذلك الفكاك

نمت هذه الفكرات وتطورت تطوراً عظيماً في العبادة الأورفية : Orphic Cult حتى لقد قيل بأن الروح إنما يحظى بحياته الحقيقية مع الآلهة وفي بيئتهم ، وأن حياته في البدن نَفْيٌ يقصيه عن هذه الحياة العليا السامية . فاذا مات الجسد ، انتقلت الروح لتحاسب وتمتحن في العالم السفلي . وقد يقضي عليه بأن يتجسد ثمَّ يتجسد مرات ، حتى يصفو ويطهر طهراً كاملاً ، فاذا تمَّ له ذلك عاش مع الآلهة . والواقع أن العبادتين « الديونيسية Dionysiac والأورفية Orphic قد رفعتا الروح حتى اعتبر إنسها سجن في البدن . ولما كان الخلود من خصائص الآلهة الجوهرية أصبح الروح الانساني ، من طريق اندماجه في حياة الآلهة خالداً بالاستتباع .

* * *

بينما كانت الروحانية آخذة في التطوُّر نحو القول بنظرية الخلود الانساني عن طريق لاهوتيي المذهب الأورفي ، كان الفلاسفة الذين عرفوا باليونيين الماديين ، قد بدءوا ، منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ذلك الجُهد الطويل الذي رمى ، غير متجانف لتعصُّب ولا متنكر لوحي العقل ، إلى فهم الطبيعة النهائية للأشياء ، ذلك الفهم الذي ندعوه اليوم الفلسفة الأوربيَّة . كان مرماهم الذي رموا إليه أن يثبتوا أن العالم كله ليس إلاَّ مظهراً بعينه من مظاهر وجودٍ كليّ ، هو الأول والأساس . ولقد حدى بهم ذلك الاتجاه أن يرفضوا ، بداءة ذي بدءٍ ، الفكرة الروحانية في مظهريها : المظهر الشُّوقيّ ، والمظهر اللاهوتيّ ، فاعتقدوا أن روح الانسانيّ لم يكن غير أسلوب تتجلى فيه القوة الكلية التي تحرك كل الأشياء وتعمل في جميع الأشياء ، والتي بدونها يصبح العالم مواتاً ، فيصيبه الجمود والثبات ، ويمتنع عليه الحركة والتغير ، وإذن لم يكن « للروح » عند هؤلاء الفلاسفة من علاقة البتة « بالروح » كما عرف في المأثورات الهوميرية . لقد دلت كلمة : « بسوخي » Psyche : Psychie عندهم على قوى العقل والشعور والارادة ، واختاروا لذلك كلمة : Thomos « ثوموس » (وهي كلمة يقول العلامة مكدوغل أن لا مقابل لها في الانجليزية) . وقد دلت في المأثورات الهوميرية على الخصائص البدنية الحالَّة في منطقة الحجاب الحاجز . كذلك لم يكن الروح Psyche عندهم موجوداً فرديًّا مشخصاً خالداً ، كما كان في الكهنوتية الأورفية . لقد لاح لهؤلاء الفلاسفة أن خلود الشخصية أمرٌ فاقد المعنى . ومع هذا ، فما دام أن الرُّوح في الانسان هو فعل القوَّة التي تحرك كل الأشياء ، وبالحري الحياة الكونية ذاتها

فهي بمعنىً مّـا ، خالدة وغير قابلة للدثور بهـذه النظرة كسب الروح شرفاً جديداً ، أسمى من ذاك الذي خصّـه به الباطنيون واللاهوتيون ، إذ جعلوه ينمي الى الآلهة . إن المعنى الذي أضفاه عليه الفلاسفة ، هو معنى أنه مظهر جزئي من مظاهر تلك القوة الأحديـة التي تبني الـكون وتهديه ، وبذلك لم يمس الروح « ديمونا » daemon فرداً ، بل أصبح القوة الالهية بذاتها .

إن رؤوس الفلاسفة الطبيعيين في « يونيا » قد اعتنقوا وجهات من النظر مختلفات في حقيقة ذلك الجوهر الذي خيل إليهم أنه أصل الأشياء . فأولهم « طاليس » أو « ثاليس » (٦٣٦ ق . م .) اعتقد أنّ العنصر الأساسي هو « الماء » . أما « أناكسيمنس » فقال بأنه « الهواء » ذلك في حين أن « ديوجنيس » ولو أنه اتبع رأي « أناكسيمـنـس » من حيث القول بأن عنصر الأساس هو « الهواء » فانه أضـفـى على الفـكرة ما أوسع من نطاقها وزاد إلى خطرها ، حيث أبان عما بين الهواء والروح (أو الحياة) من التشابه والمطابقة . فالهواء روح . فهو إذن حي وعاقل . ولـكن هذه القوة العاقلة ، هي شيء أسمى من الهواء الذي تمارس أفعالها في محيطه . فهي ينبغي ، بناءً على ذلك ، أن تكون أسبق منه في الوجود الزماني . إنها هي « الأرخية » Archy (١) طلبة الفلاسفة . والـكون موجود حي متطور بقوته الذاتية ، مستمد تفاعلاته من حيويته الأثينة فيه . فلم يكن الهواء عند « ديوجنيس » غير رمز يرمز به الى « العقل » .

* * *

كان « هيرقليطس » (٥٠٣ ق . م.) من هذه الطائفة من الفلاسفة اليونانيين ، ولقد عمل على تحوير هذا الطراز من التأمل على قاعدة الفرض بأن النار هي مبدأ الحياة والفعل ، وأنها تعمل في حركة ذلك « الدافق المستمر » أو « الفيض المستمر » الذي يلابس الأشياء .

ما من شيء في معقد الظاهرات يمت الى طبيعة النار الالهية ، إلاّ وهو عند هيرقليطس روح ، والروح عنده النار . فالنار والروح فكرتان متبادلتان ، وبذلك يكون روح الانسان ناراً أيضاً ، هو جزء من النـار الحيوية الـكونيـة التي تلف الروح الانساني وتتضمنه . ومن طريق ما ثبت فيه من نسمات ، يحتفظ الروح بكيانه ويظل حيّـا ، في صورة جزء من العقل العام ، ومن طريق اتصاله بذلك العقل ، يكتسب الروح قواه العاقلة .

---

(١) "Archy" : a begining, first cause, origin

« الارخية » Archy : معناها البدء ، سبب أول ، أصل ، أرومة .

في الانسان يعيش الآله . لا على الصورة التي رسمها اللاهوتيون حيث قالوا بأنه يتنزل مشخصاً في فردية مغلقة ، وفي هيأة فرد من بني الانسان ، بل في صورة وحدة تالف النوع الانساني وتنفذ فيه نفوذ ألسنة النار في الاثير ، إن جزءاً من الحكمة الكلية يحيا في روح الانسان . وما الروح غير جزء من النار الكونية التي إن لفت وسيقت في دلف أو فيض الصور الكائنة ، فانها مع ذلك مقيدة ، بل محبكة ، في الوظائف البدنية .

إن النار التي هي الروح ، تحوّل نفسها ، على وجه الدوام والاستمرار ، ماء وتراباً ، وهما مادتا بناء الأبدان ومنهما يبنى البدن البشري . ذلك في حين أنها تتجدد بسيالات draits تستمد من النار الكونية . وما دام الروح في حركة دائمة من التجدد ثم التحول الى عناصر أدنى ، فهو ليس جوهراً باقياً قائماً بذاته . فاذا ظل الروح قادراً على التجدد بالاستمداد من النار الكونية التي تلفه وتتضمنه ، فان الفرد يبقى حيّاً . أما الانفصال عن النار الكونية مصدر كل حياة ، فذلك هو الموت .

* * *

بين الفينة والفينة ، كما في النوم والأحلام ، يفقد الروح الفردي اتصاله بالنار الكونيّة التي تهب الحياة ، فيؤسر آونة في عالمه الخاص ، وهذا موت جزئيّ . وقد تأتي برهة لا يستطيع فيها الروح الانساني أن يسترد ما يفقد في عملية الأيض : Metabolism الهدم والبناء (أو التجدد والتحوّل) فيدركه الموت . هنا يموت الفرد ، ولكن النار الكونية باقية أزلية أبدية .

إن فكرة الخلود الفرديّ ، وحتى فكرة بقاء الروح الفرديّ ، قلما اكتسبت أي معنى عند هيرقليطس . فالفرد باعتباره موجوداً مستقلاً ، ليس له من قيمة أو مغزى . إن استمرار هذا الوجود الفردي تناقض عند هيرقليطس . إنه لا يعترف بالبقاء والخلود لغير النار . هذا الخلود لا يتناول ظواهرها المتحيزة في أفراد ، وإنما هو من خصائص تلك الطاقة الكونية التي تنبث في تضاعيف كل الأشياء ، ثم تمتصّ في ذاتها ثانية جميع الأشياء .

كان الروح عند فلاسفة الطبيعة اليونانيين إذن جزءاً من الطبيعة ، وعلم النفس فرعاً من العلم الطبيعي . لم يكن عندهم من فارق بين الطبيعي والروحي أو النفسي . وعلى الجملة ، فان كل الأشياء بما فيها الحياة والعقل ، لم تكن عندهم إلاّ ظواهر للطاقة الكونية .

اسماعيل مظهر

مملكة المرأة

وفاء امرأة

من شهيرات النساء : ايلين سالسبوري

باندي مترام : أنشودة البراهمة الوطنية

الطفل ومراحل نموه

قواعد ذهبية : لمن يريد أن يحفظ صحته

أقوال في المرأة

تحرر هذا الباب وتشرف عليه
السيدة انصاف عصمت

وفاء امرأة

أفاق السجين رقم ١٠٠ من اغمائه فسمع الطبيب يقول لمساعده لقد ضاعت جهودنا سدًى يا جاك . فلا يمضي وقت طويل حتى تفيض روحه الى بارئها .

وأمسك السجين بيد الطبيب الكهل وطلب منه أن يقترب ليفضي اليه بقصة حياته المعذبة ، قال : أيها الطبيب إن الذي يرقد أمامك ليس برجل كما يظن الجميع ، بل أنا امرأة ... امرأة ضحت بحريتها ثم بحياتها في سبيل من أحبت !

وذُعرَ الطبيب من قولها وهمَّ بأن يكشف عن جسدها للتحقق من صحة قولها غير أن ماري رجته أن يتريث قليلاً حتى تقص عليه قصتها .

مات أبوها وهي ما زالت في مقتبل العمر فأخذت أمها تشقى وتكد في سبيل توفير قوتها لها ولابنتها ، غير أنها أصيبت بمرض أقعدها فأصبحت لا تقوى على العمل .

ونزلت ماري الى مضمار العمل لتعول أمها المريضة فالتحقت بحانة من حانات الليل . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت في حب رجل شقي استحوذ على قلبها فأصبحت لا تقوى على فراقه

ويشاء القدر الغادر أن ينغص عليها حياتها الهادئة فيقابلها شاب يحاول أن يوقعها في حبائله ولكن بغير جدوى ، ولما شعر رومند عشيقها بقوة منافسه ، تحدّاه وطلب منه أن يبارزه وقتل رومند العاشق الدخيل ، ولكن البوليس قبض عليه وأرسله الى جزيرة الشيطان .

ووقفت ماري تودّع حبيبها وهي تذرف الدمع على فراقه ثم قالت له سوف أنقذك من السجن يا حبيبي ولو أودى ذلك بحياتي .

ومرّت الليالي والأيام وماري لا تزال تفكر في طريقة تمكنها من تنفيذ وعدها الذي قطعته على نفسها ، وأخيراً استطاعت أن تصل الى جزيرة الشيطان ورسمت خطتها بأن يتسلل رومند تحت جنح الظلام بعد أن يغافل حارسه ويهرب الى الشاطىء حيث تعد له زورقاً ينقله إلى أرض السلام والحرية .

غافل رومند حارسه وتمكن من الهرب . غير أن ماري تأخرت عن موعدها فقضى عشيقها ثلاث ليال في مستنقع يبعد قليلاً عن الجزيرة .

ولاحظ الحراس اختفاء رومند فأخذوا يقتفون أثره ويبحثون عنه هنا وهناك ، وفي الأحراش التي تحيط بالسجن ، غير أن ماري لحقت به في اللحظة الأخيرة . ولما شعرت باقتراب الحراس منها لبست ملابسه المبللة وأعطته ملابسها .

وأخذ رومند طريقه الى الحرية بينما شعرت ماري بعدم قدرتها على الفرار ومتابعة السير فتظاهرت بأنها السجين الهارب وقبض عليها الحراس

وذاقت ماري الأمرّين في سجنها بعد أن فقدت حريتها وظلت تعمل في السجن أعمال الرجال فتارةً تقطع الأحجار ، وأخرى تحمل الأثقال ، وتتحمل غلظة الحراس مدة طويلة ، غير انها وجدت في سجنها ما يخفف عليها وحدتها . فقد وقعت في غرام حارس يدعى ديديه الذي لم يكن أحد غيره في جزيرة الشيطان يعرف حقيقة أمرها .

ولاحظ السجناء أن هناك علاقة مريبة بين رومند المزعوم وبين الحارس ديديه كما شعرت ماري بأنها مهددة بالفضيحة فكانت تفكر دائماً في الانتحار خوفاً على حبيبها الجديد الذي أنساها حبيبها الأول الذي لم تسمع عنه خبر بعد أن أنقذته وفدته بنفسها . ولكن ديديه تمكن من تهدئة روعها وناشدها ألاّ تستسلم لهواجسها ما دام مستعداً الآن يعترف بابنه وان يتحمل في هذا السبيل كل ما يحدث .

ومرّت الأيام وما زالت ماري تفكر في مستقبل حبيبها عند ما تنكشف حقيقة أمرها غير أن الأقدار شاءت أن تنقذها من الفضيحة .

فقد عقد السجناء العزم فيما بينهم على أن يقوموا بثورة في وقت معين طالبين الخلاص من الحراس والحاكم والنجاة بحريتهم ، وقد أخفوا هذا القرار عن رومند (ماري) زميلهم لما لاحظوه من علاقات الصداقة بينه وبين الحارس ديديه .

وهبّ المسجونون يقتلون الحراس ويحطمون القيود ، وعلمت ماري بأمر الثورة فأسرعت تريد الاطمئنان على الحارس فوصلت اليه في الوقت المناسب اذ كان أحد السجناء يهم بأن يهوي عليه بمعوله فتلقت هي هذه الضربة القاتلة .

وسكتت ماري عن الكلام ونظرت الى الطبيب نظرة يبعثها من جراحها الدامية ألم مبرّح ، ثم أمسكت يد الطبيب وقالت : إن نشوة الفرح التي تغمرني ستجعلني أتحمل آلام الموت وعذابه وقد أنقذتهما منه .

من شهيرات النساء

ايلين سالسبوري

زحف الملك ادوارد الثالث على رأس حملة تأديبية ، بعد ان اشتد خطر العصابات الاسكتلندية التي كانت تهدد حدود انجلترا ، وكثيراً ما كانت تغير على البلدان الواقعة على الحدود الانجليزية فتقتل سكانها الآمنين وتنهب كل ما هو ثمين .

وسار الجيش الانجليزي حتى وصل الى قلعة سالسبوري التي حاصرتها العصابات الاسكتلندية فترة طويلة من الزمن ، كما وقع قائدها الكونت سالسبوري أسيراً في قبضة العصابات الاسكتلندية ، ولكن زوجه ايلين ظلت تدير القتال وتضع الخطط الحربية بدلاً من زوجها الأسير ، كما أخذت تبث روح الاستشهاد والاستبسال في رجالها ، حتى وصلت الجيوش الانجليزية وعلى رأسها الملك ادوارد الثالث ، ففتك بالعصابات المعادية وتمكن من فك الحصار عن القلعة .

وأمر الملك رجاله بأن يضربوا معسكرهم من حول القلعة ، على أن ينزل عند ايلين ضيفاً هو وبعض قواده العظام حتى يزول خطر العصابات الاسكتلندية تماماً ويسود السلام وتعود الطمأنينة .

ورحبت ايلين بقدوم الملك وأقامت مأدبة فاخرة عند تشريف الملك لقلعتها ولم يكن الملك قد رأى ايلين من قبل . فما كادت تدخل عليهم قاعة الطعام وقد ارتدت كل ما هو غال وثمين ، وكشفت عن محاسن جمالها وسحر عيونها ، حتى أخذ الملك بجمالها فراح يتقرب إليها ويدير حديثه في مواضيع شتى ، حتى انتهى الى التحدث عن الحب ، والسلطة والقدرة !!

وشعرت ايلين بما يدور في خلد ضيفها الكريم فأسفت أشد الأسف لطمع الملك وساءها نكران الملك لجميل زوجها الذي لولاه لتمكنت العصابات الاسكتلندية من تهديد عاصمة ملكه .

وما ان انتهت المأدبة حتى طلب ادوارد الثالث من سيدة القلعة ان تقابله في الحديقة .

وفي خلوة وتحت شجيرة مورقة مثمرة جلسا يتحدثان عن الطبيعة ولكن ايلين لاحظت ارتباك الملك ، وفهمت أن هناك شيئاً آخر يريد الملك ان يفضي اليها به .

وأمسك الملك بيد ايلين وأخذ يصارحها بمقدار الحب الذي يكنه قلبه نحوها من أول نظرة ، وانه لن يبرح هذا المكان ولن ينجي زوجها من الأسر إلا بعد أن يفوز بوعد منها .

ووقفت المرأة ، ثم تراجعت خطوات ونكست رأسها ثم قالت .

« مولاي صاحب الجلالة : « بالرغم من انك تريد ان تلحق الأذى والعار بأسرة بذلت في سبيلك كل غالٍ ونفيس ، فإنني لا أريد ان ألحق بك أية اهانة ، ولذا فإني سآخذ كل كلمة تفوّهت بها على محمل المزاح لا الجد »

وانتابت الملك حيرة عند ما سمع رداً لم يكن في الحسبان ، فأطرق قليلاً . ثم قال : « لنلعب إذن الشطرنج » ثم خلع خاتماً ثميناً من يده وقال : « ضعي شيئاً في مقابل هذا الخاتم وسنتغالب عليهما ، وهما لمن يربح »

فقالت ايلين : ومن أين لي بشيء يوازي في قيمته هذا الخاتم الثمين ؟

فأجاب الملك : ضعي أي شيء مهما كان تافهاً ، وأجابت ايلين رغبة الملك فخلعت خاتماً ثميناً من يدها ووضعته بجانب خاتم الملك .

وأدركت ايلين ان الملك يحاول جاهداً أن يخسر الرهان لكي يترك لها خاتمه تذكاراً وأملاً في ان تتذكره ايلين كلما نظرت الى خاتمه في أصبعها .

* * *

وانتهى الدور بأن خسر الملك كما كان يريد فأخذ خاتمه من فوق المنضدة وحاول أن يضعه في أصبع ايلين ، ولكنها سحبت يدها قائلة : « لا يسعني يا مولاي ان أقبل هذه الهدية » . وظهرت عليها علائم الغضب فبادرها الملك قائلاً « انك تتعمدين احتقاري . أنسيت إنني سيد البلاد وسيدك ، وارادتي نافذة في كل مكان » ؟

فقالت ايلين : « إنني أعلم ذلك يا مولاي وتراني دائماً مستعدة لخدمتك على ان لا يكون

أحدث أزياء فصل الخريف

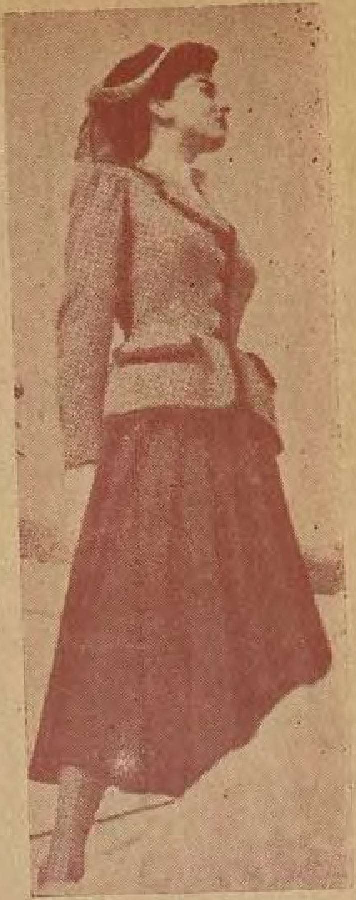
شكل — ١

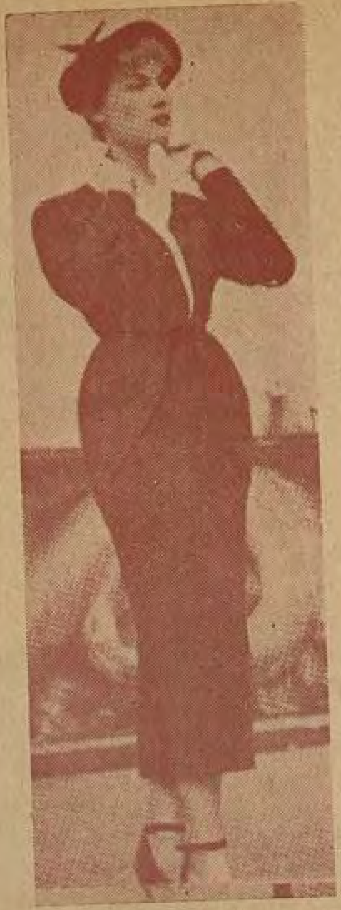
شكل — ٢

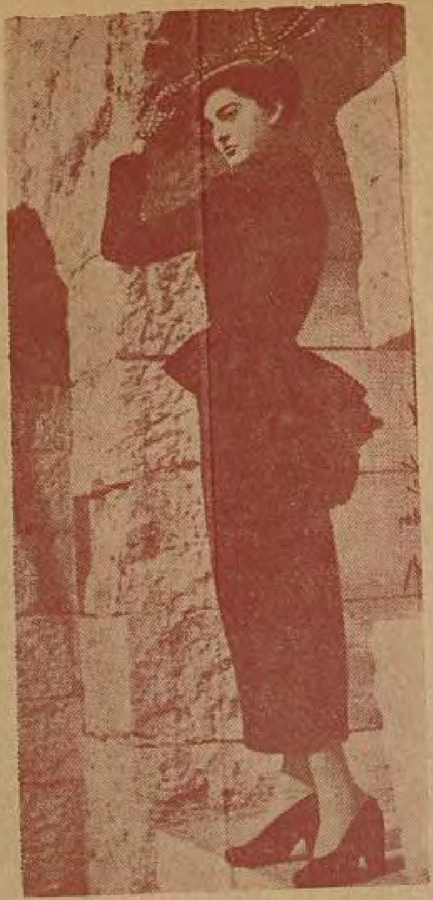
شكل — ٣

أحدث أزياء
فصل الخريف

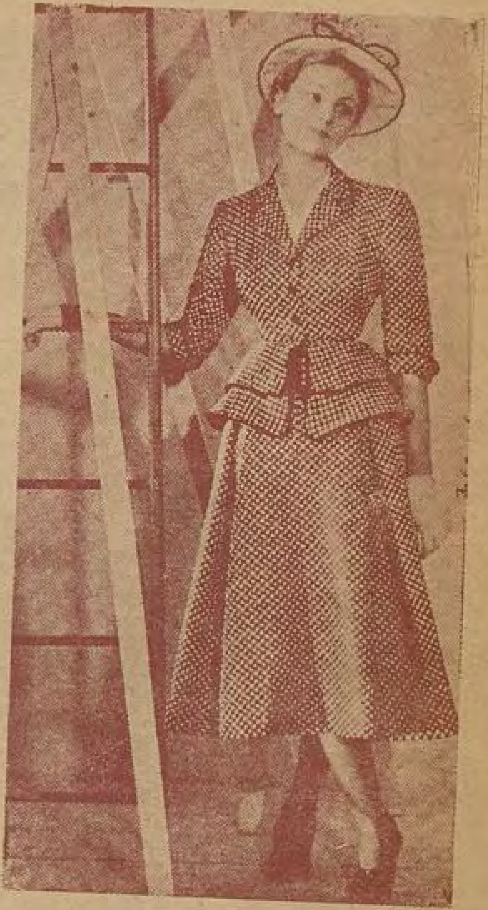

شكل — ٤

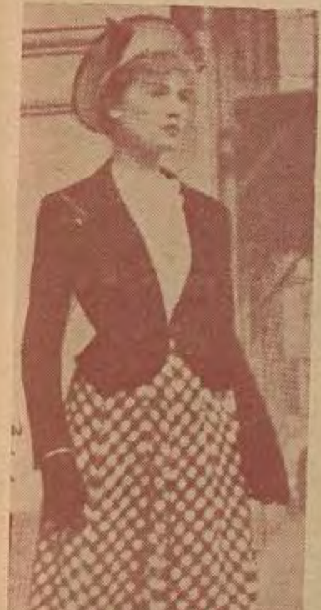

شكل — ٥

Orientalisches Seminar

في ذلك ما يسيء الى سمعتي وسمعتك ويلحق عاراً بشرفي وشرفك » .

— « ولكنني أريد أن تأخذي هذا الخاتم تذكاراً مني قبل رحيلي » .

— « ان ذكرى تشريفك لقلعتي هي أثمن ما أحتفظ به كذكرى ، وأرجو أن لا تضيف الى هذه الذكرى شيئاً مادياً يشوّه جمالها » .

وشعر الملك بأنه أقدم على فعلة شنعاء وعزم على أن يكفر عنها على مدى الأيام .

* * *

وفي الصباح رحل الملك ليهاجم أعداءه فأنزل بهم هزيمة منكرة ووافته الأخبار بأن الكونت زوج ايلين ما زال في قبضة الأعداء ، وإنهم يطلبون مبلغاً ضخماً فدية عنه حتى يطلق سراحه .

ورجع الملك الى القلعة ، ولكنه لم يشأ أن ينزل ضيفاً على ايلين ، بل أرسل اليها رسولاً يبلغها هذه الأخبار ويطمئنها بأنه سيأمر بدفع الفدية حال وصوله الى عاصمة ملكه ليطلقوا سراح زوجها الكونت الشجاع .

* * *

وبرّ الملك بوعده فدفع الفدية وأنقذ من الأسر زوج المرأة التي أحبها وطمع فيها فقابلت حبه وطمعه بأنفة وإباء وحافظت على شرفها دون ان تخشى بطش الملك وغضبه .

باندي مترام

أنشودة البراهمة الوطنية

الهنود البراهمة من أشد الامم تعلقاً بوطنهم ولهم أنشودة يسمونها « باندي مترام » معناها « السلام لك يا أمنا » أنشدوها في أثناء ثورتهم على الانجليز سنة ١٩٠٥ وكان لها تأثير عظيم في نفوسهم هذا نصها :

« اسجد لك يا أماه . الغنية بالانهار والاثمار ونسيم الجنوب المنعش . حقولك خضر بالحصاد . لياليك تتمشع بنور القمر الفضي تكللك الاشجار المزهرة . ابتسامك يتألق كالنور . صوتك رخيم وألفاظك تتساقط كالجوهر البراق . أنت تسدين حاجاتنا . انت تنجدين الاصدقاء وتطاردين الاعداء . أنت منقذة شعبك . أسجد لك . أنت الحكمة . أنت الديان . أنت القلب . بل أنت صميم قلوبنا ومجرى أنفاسنا . وقوة سواعدنا تنصب تماثيلك في هياكلنا . إنك إلهة « درغا » تحملين عشرة أسنة بيديك . أنت « لكشمي » (إلهة السعادة) تقيمين في بحيرة الجبقوق . أنت سارا سواتي (إلهة العلم) . أسجد لك أيتها الام الطاهرة الجميلة الباسمة المخلصة المزدانة بالجوهر » .

ومن أروع أناشيدهم في الصلاة ما يلي :

« يا إلهي . إنك كثير الاسماء بلا إسم . كثير الاشكال بلا شكل . الصامت وأصواتك ملء آذاننا . أقبل صلاتي في خلال كل ذرة من ذرات الوجود . أوفق بهذه الارض القديمة مبعث القديسين والابرار . أرض التلال المباركة والصحاري المقدسة والاحراج الغضة المظلمة ، والسهول الفسيحة للشرقة . إنها مجد الشرق القديم ومساكنه . يا وطننا ومسقط رؤوسنا . يا بلاد الهند . لتتآلف شعوبك ويكرم بعضها بعضاً بهدوء وسكينة . امنحها يا إلهنا السلام الذي لا تقدر الملوك أن تمنحه . أعطها السعادة التي تعجز الثروة عنها . ليعمل كل واحد لنفسه وللجميع . يشتغل ويدع الناس يشتغلون . يعيش ويدع الناس يعيشون » .

الطفل ومراحل نموه

من الخامسة الى الثانية عشرة

هذه مرحلة إتقان للخبرات والمهارات اللغوية والحركية والعقلية السابق اكتسابها . وبهذا ننتقل هنا تدريجيًّا من مرحلة الكسب الى مرحلة الاتقان . والطفل في هذه المرحلة ثابت ، قليل المشكلات الانفعالية ، كثير النشاط . ويميل في منتصف هذه المرحلة الى الإنتقال من مرحلة الخيال والابهام والتمثيل الى مرحلة الواقعية ، فالطفل من سنّ ٨ الى سنّ ١٢ مخلوق عملي ، واقعي ، على وفرة من النشاط . ويميل الى جمع الأشياء وادخارها ، وتنظيمها . ويميل ميلاً شديداً الى الملكية التي تبدأ تنمو قبل ذلك بكثير ، ويتجه قرب نهاية المرحلة الى الانتماء الى الجماعات المنظمة ، بعد أن كان يميل ميلاً شديداً قبل ذلك لمجرد الاجتماع بمن هم في سنّه . ويحب التنافس والتفاخر في الجسمية والحركية بنوع خاص .

ولما كانت هذه المرحلة مرحلة إتقان لما سبق كسبه من حركة ولغة وتفكير ، فيمكن الاكثار في المدارس من دروس الأشغال ، والموسيقى ، والغناء ، والأناشيد ، والألعاب الجمعية ، والرقص والتمثيل . وغير ذلك . فهذه كلها تشبع في نفس الطفل الحاجة الى الاتقان والتنافس والشعور الواقعي بالنجاح .

ويقسم بعض الباحثين هذه المرحلة مرحلتين : إحداهما تنتهي في سنّ الثامنة ، والأخرى تنتهي في سنّ الثانية عشرة تقريباً . والمرحلة الأولى استمرار للمرحلة السابقة فهي كما قلنا مواصلة للنموّ الحركي ، وزيادة فهم العالم المحيط بعناصره المادية والاجتماعية ، وهي مرحلة يبدأ فيها ظهور بعض مبادىء الاستقرار الانفعالي . وأما المرحلة الثانية التي تبدأ في سنّ الثامنة وتنتهي في العاشرة . فهي مرحلة استقرار في النموّ الجسماني ، واستقرار في الحياة الانفعالية . وهي مرحلة اتقان المهارات الحركية ، والعقلية ، وتكون فيها القدرة على الاستفادة من المرانة والتكرار كبيرة جدًّا . وهي كما قلنا مرحلة واقعية ، والاصرار على التمسك بالحقيقة فيضعف عندها التلذذ من اللعب الايهامي ، ويبدأ الاهتمام باللعب والتمثيل القريبين من الواقعية . والطفل في هذه المرحلة يحب اللعب الجمعي ، ولو أنه لا يهتم باللعب الجمعي المنظم في شكل فِرَق اهتماماً كبيراً إلاّ في أخريات المرحلة . وتبدأ الاتجاهات

الاجتماعية تظهر في هذه المرحلة كالزعامة أو التبعية أو الميل للمساعدة أو الميل للحنوّ أو الميل الاستبدادي أو حب التهكم أو غير ذلك وهي مرحلة قليلة المشكلات في العادة إذا قورنت بالمرحلة التي قبلها والتي بعدها. ولكن المشاكل لا تلبث أن تظهر إذا أهملنا خصائص الطفل في هذه المرحلة من ميل الى الكشف والمعرفة والتجول والمخاطرة والمصادقة واهتمام بالعالم الخارجي من مواد وأشخاص اهتماماً لم يسبق له عنده مثيل.

* * *

وبطء النموّ الجسماني في هذه المرحلة يجعل الطفل حسن الصحة قليل القابلية للتعب شديد الميل للحركة والنشاط، قادراً على التحمل ومواصلة العمل ساعات طويلة.

أما من الناحية العقلية فكل القوى العقلية من تذكر وتفكير وانتباه وغير ذلك تبدأ تنضج في هذه المرحلة خصوصاً بعد سن التاسعة. ولذلك يرى علماء النفس أن الفكرة القديمة القائمة على أن يحفظ الطفل حفظاً آلياً كثيراً من مواد الدراسة في هذه المرحلة، خصوصاً قبل العاشرة فكرة خاطئة، ويجب الاعتماد على البحث والتفكير وعلى الذاكرة المنطقية وعلى تحفيز الطفل للعمل والتكرار عن طريق ميوله ومصادر الشوق لديه.

قواعد ذهبية

لمن يريد أن يحفظ صحته

سيدتي: أنت المسئولة عن صحة أولادك وأهل منزلك وعليك أن تحمليهم على اتباع النصائح التالية:

١ — الاكل ثلاث مرات في اليوم وفي أوقات معينة. وجعل طعام العشاء خفيفاً
٢ — الاقتصاد في ألوان الطعام. ومضغ الطعام جيداً وتحاشي الاطعمة التي تتلبك المعدة.
٣ — عدم تناول شيء من المنبهات التي تثير المعدة مثل المخدرات والاشربة الروحية أو الافاويه ونحوها إلا دواء عند الحاجة إليها.
٤ — عدم تناول شيء بين وجبات الطعام.
٥ — الاكثار من اللحوم شتاءاً والخضر صيفاً
٦ — الراحة بعد الطعام بالاستلقاء قليلا.
٧ — اتقاء البرد بعد الدفء.
٨ — الاعتدال والتعفف في كل شيء.
٩ — النوم مبكراً.
١٠ — الالعاب الرياضية يومياً.
١١ — تجنب العقاقير الطبية بقدر الامكان.
١٢ — الاهتمام بالنظافة البدنية.

المرحلة من سن ١٢ الى سن الرشد

تنتهي الطفولة عادةً عند سن الحادية عشرة، أو الثانية عشرة تقريباً ويبدأ الفرد يدخل بعد ذلك في دور جديد تظهر فيه تغيرات كثيرة بعضها ظاهر وبعضها خفي. ومن التغيرات الظاهرة مثلاً، استطالة القامة وبدء نموّ الشعر على العارضين وعلى الشفة العليا عند الولد، وينمو الشعر كذلك على العانة وحول الأعضاء التناسلية، وتحت الابطين عند كل من الولد والبنت، وتنمو بعض أعضاء الجسم بنسب

تختلف عن النسب التي كانت تنمو بها قبل ذلك. والثديان عند البنت مثال من هذا النوع من النمو . ومن الظواهر الهامة بدء تضخم الصوت عند البنين، ومرحلة الانتقال يتكسر فيها الصوت عادةً بين الرفيع وغير الرفيع . أما التغيرات الخفية فأهمها ما يطرأ على بعض الغدد من ضمور كما يحدث في الغدد التيموسية والصنوبرية وما يطرأ على بعض الغدد الأخرى من نموّ ونشاط كما يحدث في الغدة النخامية والغدد التناسلية . وافرازات الغدد ترجع إليها التغيرات الجسمانية الظاهرة التي أشرنا اليها كما يرجع كثير من الظواهر النفسية التي تظهر في هذا الدور .

* * *

وهذه المرحلة على وجه العموم مرحلة نموّ سريع في الوزن ، والطول ، ويصحبها مؤقتاً شيء من رعونة الحركة وفقدان بعض الدقة والتوازن في الحركات .

أقوال في المرأة

— تتأنق المرأة من أجل امرأة أخرى . وتتزوج لأن غيرها سبقتها الى الزواج .. وتدير منزلها لتبدو نظيفة أمام زائراتها .. ولولا هذا لكان للمرأة شأن آخر . . . .

« جول كوراي »

— المرأة مخلوق عجيب غامض ... تزعم أنها تريد فرواً ثميناً ليقيها البرد في الشتاء ، بينما هي تخرج بجوارب من الحرير الخفيف الشفاف وحذاء مكشوف .

« هنري ليتل »

— يعتقد الرجل أن المرأة خلقت لكي تنصت الى آرائه في كل موضوع .

« برنستين »

— من مصائب الزمن أن المرأة تعثر بسهولة على الرجال السخفاء إذا أرادت العثور عليهم . أما إذا بحثت عن الظرفاء فقلما تظفر بأحدهم

— يقول الفرنسي : أنا أعرف فلانة اذا قبلها والامريكي إذا ضربها . والانجليزي إذا غمزت له بطرف عينها اليسرى — أما المصري فيؤكد معرفته لأية فتاة قابلت نظراته نظراتها وهي مطلة من النافذة .

هيلدا دالون

وينتج عن هذه المظاهر وما يشابهها حساسية شديدة في النشء وحالات انفعالية تحتاج الى رعاية .

فبعض البنات والأولاد يخافون على أنفسهم خوفاً شديداً إذ يظنون أن هذا النموّ قد يستمر استمراراً مطرداً .

وبعضهم يعضون على أطراف أصابعهم حتى لا يرجّوا المكان ويزعجوا من فيه.

وبعضهم لا يجرأ على التكلم أمام الناس لعدم ثقتهم في أصواتهم ان كانت ستخرج رفيعة وغير رفيعة.

***

وخلاصة القول ان الطفل في هذه المرحلة ينتقل من الطفولة الى اكتمال النموّ .

وعلى هذا الممر الواقع بين المرحلتين يمر الطفل في دور المراهقة والبلوغ . وهي مرحلة مليئة بالصعاب بالنسبة للناشيء ، ويكون فيها الفرد في أشد الحاجة الى المعونة ممن حوله .

باب المراسلة والمناظرة

تعليق على مقالين

نشرت المقتطف الغراء بعددها الصادر في يونيو من هذه السنة، مقالين نفيسين أحدهما لسعادة محمد جميل بيهم بك بحث وشرح فيه عن علاقة المشابهة بين حضارة مصر القديمة والبابليين والهنود وبين حضارة المكسيك قديماً. وكان البحث طريفاً في منحاه جداً. وأما المقال الثاني فهو بقلم الكاتب العلمي الفاضل عوض جندي وفيه يؤكد القول بموجات الرادار لا أشعته. وفي ثنايا مقاله يشرح الكاتب كعادته وصفاً علمياً للرادار وفوائده بطريقته المعهودة في تبسيط الحقائق العلمية العويصة، تلك الطريقة التي لا يجهلها كل قارئ للمقتطف والصحف العلمية المشهورة في العالم العربي. وإني على قدر تفكيري لي تعليق على المقالين. وقد أكون على صواب أو أحيد عنه.

﴿ مصر القديمة والمكسيك ﴾ بعد أن يستطرد سعادة المفضال (محمد جميل بيهم بك) في شرح أوجه الشبه بين الحضارة المكسيكية التي شاهد بقاياها عياناً، والتي وجد نقوشها وكتابتها التي تشبه الهيروغليفية وأزياء أهلها تشبه أزياء المصريين القدماء، ووجد اهراماتها تحاكي إهرامات مصر مع فارق قليل من حيث تموج السطح، بعد المقارنة الناضجة يقول سعادته: « ولعلّ أدوات الاتصال بين أجزاء الأرض في عهد قديم كانت أرقى من السفن والمراكب ذوات الأشرعة. وما يدرينا إذا كانت حكاية بساط الريح وليدة حقيقة أضاع الزمان معالمها، وان ما بقي منها يتناقل على الألسن أصبح من قبيل أسطورة من الأساطير ».

وإني قبل أن أدلي برأيي أرى لزاماً أن أبدي رأي العلاّمة المرحوم الأب انستاس الكرملي، فهذا أيضاً كتب في المقتطف مؤكداً أن العرب قد اكتشفوا أمريكا قبل كولومبوس. وكان دليله في ذلك وجود أسماء حيوانات ترجع بأصل تسميتها الى اللغة العربية مثل (القنغر Kangaro) (الكانجرو) (الجيم المصرية) فيقطع الأب هذه الكلمة الى كلمتين كانَ جرو) أي (كانَ جرواً). ومن طبيعة هذا الحيوان أن تسكن اجراؤه في كيس بجسمه فينقلها حيث يشاء. وتطوّرت الجملة العربية عند الأمريكيين القدماء للخفة الى (الكانجرو) أي الى كلمة واحدة. ومن جملة من ردّ على الأب إنستاس برد مستفيض بالحقائق العلمية هو الأستاذ الفاضل (حنا خباز) وحتى إنه (حنا) قرر أن العرب قديماً يخشون البحر ولا يجسرون على السفر فيه الى مسافات شاسعة قصية. وقد استشهد على ذلك بقول شاعرهم.

لا أركب البحر إني أخاف منه المعاطب
طينٌ أنا وهو ماءٌ والطين في الماء ذاهب

ولكن رؤية صاحب السعادة (جميل بيهم بك) لحضارة المكسيك وعلاقتها بالشرق العربي تدعم التريث والوقوف عند رأي الأب انستاس كما تجعل الفرد المدقق يقتحم الطرق للاستدلال على إمكانية اتصال الشرق بالغرب، لا بطرق المواصلات الراقية والخيالية كبساط الريح بل بطريقة أخرى ترد أصولها الى طبيعة العالم وقاراته في الأزمنة السحيقة في القدم. وهنا لا بد وأن يولي المرء وجهه شطر علم الفلك والجيولوجيا لمعرفة تطوُّر الأرض ومكان القارات بعضها بالنسبة لبعض ، وهل كان على ما هو عليه الآن ؟

يقول العالم (جورج داروِن) إن القمر انفصل عن الأرض وترك هوَّة عميقة تزحلق إليها قسم من الربع الباقي من الأرض. ويؤيده في قوله كثير من العلماء في وقته. ويقول العالم «فاجنر» الألماني في تكوين القارات ، مستنداً إلى علم الطبيعة والجيولوجيا والنبات والحيوان أن في العصر الجيولوجي الثاني أي قبل ٥٠ مليون سنة كانت القارات كتلة واحدة وعلى مر العصور انقسمت الى كتلتين شرقية وغربية، فالغربية تشمل الأمريكتين، والشرقية الباقي. ولقد تزحلقت الكتلة الغربية وكأنها تسير طافية على مادة مائعة، وفي أثناء سيرها غرباً تجمعت أقسامها الغربية بفعل المقاومة فكوَّنت جبال روكي الصخرية والأنديس وغيرها من جبال أمريكا فالهوَّة التي بقيت بينها هي البحار كهوَّة القمر التي كوَّنت (الباسيفيكي) حسب رأي جورج داروِن المذكور . وإن الناظر الى رسمها متجمعة حسب رأي (فاجنر) ومتفرقة ليجد أن اسبانيا وغرب أفريقا يتداخلان لا بل يمكن أن ينطبقا بما فيهما من نتوءات مع شرق أمريكا الجنوبية وشرق أمريكا الشمالية حتى شمال المكسيك. وكأنما اسبانيا قد اقتطعت من خليج المكسيك فتشبه بحجمها سدّاداً له . وغربيّ أوربا ينطبق على القسم الشرقي من أمريكا، وشرق أفريقا من الشمال الى الجنوب يتصل بغرب آسيا واستراليا . ومن الثابت تاريخيًّا ان البحر الأبيض المتوسط كان عبارة عن مستنقعات تخللها أحراج النباتات والغابات وبعض الجبال وتسرح فيها حمر الوحش والحيوانات الأخرى كفرس البحر . ولم يكن مضيق (سبتة) جبل طارق . ولكن في طور من أطوار الزمن انفتق هذا المضيق وتدفقت مياه الأطلسي شرقاً فكوَّنت البحر المتوسط ، وما بقي من رؤوس الجبال هو الجزر الباقية الآن فيه كالأرخبيل اليوناني وقبرص وكريت وقورسيقا وسردنية وصقلية وجزر البالياد وغيرها . مما تقدم نتوصل الى القول بأنه يمكن أن يكون الاتصال بين أمم العالم القديم بوساطة أدوات وطرق المواصلات البدائية لأن البرازخ الأرضية كثيرة وعمليات الجفاف

والغمر مستمرة ومتبدلة من مكان الى مكان . وأن البحار لم تكن بهذه السعة ، ولكن عوامل التآكل والتعرية الجيولوجية هي التي أوصلتها بصورة تدريجية الى ما آلت اليه الآن . وإذن فلا مانع من تشابه الحضارات ، وتبادل الكلمات ، ولا غرابة إذن في مقارنة « بيهم والكرملي » على هذا الأساس . أما على أساس الرقي العقلي الموهوم فلا يستند الى النقل ولا الى العلم ولا الى حقيقة التطوُّر الجنسي والعقلي في الانسان ، إذ أن الانسان كلما تقهقرنا به الى الوراء آلاف السنين نجد عقله منحطاً خلقةً وتجربةً لأنه أقرب الى الحيوان منه الى الانسان . فمن أين يأتيه الابتكار .

﴿ الأشعة والموج ﴾ لا شك اننا نعيش في بحر من الهواء كما تعيش الأسماك في بحر من الماء . فكل حركة من الكلام الى المشي تموّج الهواء . وكذلك النجوم في أفلاك تموج بما حواليها من المادة اللطيفة . وأشعة الشمس وغيرها من الأجسام المشرقة تصل الينا بصورة أمواج ، فالضوء يصل على وسيط الأثير . وكذلك الأشعة الكونية وأشعة الأجسام المشعة كلها تسير بصورة موجية . وإذن فالكون كله أمواج في أمواج . وكثيراً ما تقرأ في الكتب هذه العبارة (أشعة اكس وهي موجات) (الأشعة اللاسلكية . وهي أمواج) وأشعة الرادار هي أيضاً بدورها أمواج . وإذن فلا يوجد مجال لسوء الفهم بين أشعة أو أمواج لأن الاشعاع معناه الانطلاق — من جسم مشع — لدقائق المادة أو الطاقة أو من جسم غير مشع ، لكنه يحتوي على مادة تشعشع ضوءاً وحرارة وغيرهما من صنوف الاشعاع فالرادار جهاز تنطلق منه أشعة لاسلكية وبما أن كل أشعة تسير سيراً موجيًّا فلا أسى اذا ما سميناها أمواجاً أو أشعة . هذا من جهة العلم . أما من جهة المجاز فيجوز أن أسمي الأمواج أشعة والأشعة أمواجاً لعلاقة المشابهة في القوام والمسير . فكثيراً ما يقال يشع الفضل من أعطاف فلان أو تموج عواطفه رقة . وكذلك في قول الشريف الرضي

ضوء تشعشع في سواد ذوائبي لا أستضيء به ولا أستصبح

فسمي الشيب بالضوء مجازاً لعلاقة المشابهة . وكذلك في قول المتنبي :

قامت تظللني من الشمس نفس أعزّ عليَّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمسٌ تظللني من الشمس

فاحدى الشمسين كما هو ظاهر (فرد) والشمس الثانية حقيقية ، وأكثر التسمية في اللغة العربية على المجاز اللغوي وقواعده . وعليه إني أرى أنه لا يضير العلم اذا ما قال واحد أشعة الرادار أو أمواج الرائد اللاسلكي لأن الأشعة أمواج علماً ومجازاً .

القورنة — البصرة بشير السعر

مكتبة المقتطف

معجم الأحلام

تأليف الاستاذ اسبيرو جبري — صفحاته ١٦٠ من قطع المقتطف على ورق جيد — الثمن ٤٠ قرشاً
طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

الحلم ظاهرة هي أعمق الظاهرات العقلية وأغربها . يعمل فيها البصر والسمع ، ولـكن لا تستعمل فيها العين ولا الاذن لأنهما مقفلتان بقفل النوم. يشاهد الحالم الأشياء والأشباح، ويرى الأبنية والغياض والأشجار والبحار الخ ... ويسمع الأصوات والأنغام، وهو يعتقد أنه أبصر وسمع . ولـكن لا عيناه رأتا ولا أذناه أصغتا لـكي تكذب هذا الظن ، أو تبلغ ذهنه أن ما رآه وسمعه لم يكن حقيقة ، ما كان إلاَّ وهماً . وقد يكون الحلم من الوضوح والجلاء بحيث أنه اذا تذكره الحالم بعد زمن طويل اعتقد أنه كان حقيقة لا وهماً . فاذا حلم مثلاً أنه حفر حقلاً ورأى فلاناً وفلاناً وسمع كيت وكيت فبعد حين يتذكر هذا الحلم وهو يعتقد أنه كان حادثاً حقيقيّاً لا حلماً . أعني أنه يختلط فيه الوهم بالحقيقة اختلاط النوم باليقظة

لذلك تعد الأحلام من جوهريات الخواص العقلية التي تستوجب دراسة عميقة لتفسير ما فيها من حيرة وابهام ولتعليل اسبابها ونتائجها التي حار فيها المفكرون وتقوَّل فيها المعللون وأمعنوا في تفسيرها كأنهم يستخرجون من أوهامها حقائق، لذلك ما من عالم أو فيلسوف إلاَّ خاض غمارها لاستكناه أسرارها . والفكّير مغرم عادة باستجلاء الأسرار .

قرأت في الآونة الأخيرة كتاباً بموضوع الأحلام للبحاثة الأستاذ اسبيرو جبري المحرّر بالمقطم والمقتطف بحث فيه بحثاً علميّاً وتوسع فيه توسعاً تناول كل ناحية من نواحيه ولم يترك فيه وجهةً إلاَّ استوفى البحث فيها . واستند في بحوثه القيمة على ما كتبه جلة العلماء والفلاسفة الأقدمين والمتأخرين . واستمدَّ معلوماته المعتبرة من مقالات أقطاب العلماء والفلاسفة أمثال العلامة سيجوموند فرويد المشهور والفيلسوف السير اوليفر لدج والعالم ستد الذي كان صاحب مجلة المجلات والعلامة برار دي بوامونذ في الصنمبولزم والمطران نيوتن

وثيوفيل غايتر عن تأثير الحشيش المخدر والدكتور جردون في أحلام الطيور ، ورومانس في حلم الـكلاب، وتمسون في أحلام الحيوانات والأستاذ ستانلي في أحلام العميان وولتر سكوت في أسرار الأحلام . وأخيراً أورد فصلاً برمته في هذا الموضوع للفيلسوف برغسن المشهور

واستشهد بكثيرين من السابقين واللاحقين حتى أنه جمع زبدة ما لاح في أذهان البحاثة في هذا الموضوع وأورد ماورد في الـكتب المقدسة عن الأحلام وهكذا لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ اقتبسها لـكتابه .

ثم اتبع هذه البحوث القيمة بمعجم عن تفاسير الأحلام منقولة عن كثيرين من الثقات الذين جمعوا قصص الأحلام وحاولوا تفسيرها وتحقيقها بالأحداث الماضية والمستقبلة ورتبها حسب ترتيب الحروف الهجائية .

وقصارى القول أن هذا الموضوع الذي يحسبه معظم الناس أوهاماً لا يستحق الالتفات اليها ، ينجلي لك في هذا الـكتاب عظيم الأهمية وانه من جوهريات حياة الانسان . كيف لا وهو من أغرب الظاهرات العقلية التي تشغل بال الانسان . فمن يشاء أن يلم بفلسفة الأحلام ويميز بين الحقائق والأوهام فعليه بهذا السفر النفيس.

نقولا الحداد

قصة الذرة

للاستاذ فوزي الشتوي — صفحاته ١٦٠ صفحة — طبع بمطبعة رابيد بمصر — الثمن ٢٠ قرشاً

لا ريب في أن عصرنا الحالي هو عصر الذرة . فإن القاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما كان نذيراً ببدء عصر جديد في أساليبه الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والصحية . وقد شهدنا حتى الآن أثر الأسلحة الذرية في السياسة الدولية، فلولاها لما تعقدت المسائل الدولية بشكلها الحالي .

وقد أقبل العلماء والأطباء على استخدام الاشعاعات الذرية في كثير من بحوثهم الطبية وقد وصل بعضهم الى نتائج حسنة في بعض الأمراض المستعصية ، فأطلعونا على كثير من أسرارها .

وتمكن الأستاذ فوزي الشتوي في كتابه الممتع من سرد حوادث البحوث العلمية الخاصة بالذرة في أسلوب قصصي بسيط يسهل فهمه على القارىء العادي ، ومنه يلم بجميع المعلومات والنظريات اللازمة لفهم هذا الموضوع الدقيق الذي أصبح رمز عصرنا الحالي، والعصور القادمة .

وقد بدأ المؤلف قصته بالنظريات الفلسفية التي قيلت عن الذرة من أقدم عصور التاريخ سواءٌ عند الفراعنة أو عند اليونان، فسردها في رواية سريعة وسمّاها بالمرحلة الأولى للبحوث الذرية . ثم انتقل الى المرحلة الثانية حينما وقف أحد كبار العلماء في مجمع علمي عام وأعلن ان البحوث الطبيعية وصلت الى ذروتها .

ولم تمض سنتان حتى عثر رونتجن بطريق الصدفة على أشعة اكس المجهولة وهي التي تستخدم في الكشف عن الأمراض الداخلية في جسم الانسان ولم يستطع أي عالم أن يفسر سرّ هذه الأشعة، ولا كيف نتجت، حتى قام رذرفورد بتحليلها فنقل البحوث الذرية من مرحلة النظريات الفلسفية الى مضمار الماديات .

* * *

ومن أمتع أبواب الكتاب فصوله الأخيرة وفيها يتحدث المؤلف عن المستقبل فيطلق الخيال العلمي لاستنتاج حالته ، فيتنبأ بأن انسان المستقبل لن يشتغل أكثر من ثلاث ثوان في السنة مما يعرض العالم للكوارث الاقتصادية إذا استمرت الأوضاع الحالية على ما هي عليه الآن واعتبرت العمل سلعة .

وفي أحد هذه الفصول روى أيضاً طائفة من القوى الكامنة في الطبيعة مما لم يدرسه الانسان بعد مثل الأشعة الكونية وقال انه قد لا تمضي عشرون سنة حتى يرفع الناس على منازلهم ساريات تجمع هذه الأشعة الهابطة من السماء وتغنيهم عن جميع موارد الطاقة .

ولعلّ أبرز ما في الكتاب هو ترجمته لعدد من الاصطلاحات العلمية ، فاشتقّ لها ألفاظاً عربية يشاهد أنه توخى فيها جانب الانسجام العلمي ، وان تكون مفسرة لمدلول اللفظ الأجنبي بالعربية .

وحتى يجعل الموضوع سهل الفهم على القارىء زوّد كتابه بأربعين صورة ورسماً اشترك في إعدادها عدد من الرسامين والمهندسين كما طبع على الغلاف صورة فنية لطيفة بريشة الرسام محمد مصطفى حماد ، وهي تمثل المدنية كطفل صغير يلهو بالطاقة الذرية فيخرج منها شعاعان يمثل أحدهما الدمار الماثل في الاضطراب الدولي الحالي، ويمثل الثاني الناحية الانشائية لبناء العالم .

باب الأخبار العلمية

معهد الشؤون العالمية

انقضت خمس وعشرون سنة على انشاء معهد الشؤون العالمية بمدينة ساليسبوري بولاية كونيكتيكت في القسم الشرقي للولايات المتحدة وأصبح ينتظم في الدراسة به ثلاثون طالباً قدموا من إثنتى عشرة دولة . وقد أنشىء هذا المعهد نتيجة لقرار اتخذه الاتحاد الدولي للطلبة الذي كان يعقد اجتماعاته في مدينة جنيف بسويسرا في المدة من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٣٩ . وقد نقل الاتحاد عندما نشبت الحرب الى كلية وليمز في وليمزتاون بولاية ماساتشوستس . وقد أخذ يعقد اجتماعاته منذ سنة ١٩٤٣ حتى الآن في المدرسة التاكونية Taconic بمدينة ساليسبوري. وقد أصبح نصف أعضاء الاتحاد في سنة ١٩٤٨ من الولايات المتحدة . أما الدول الأخرى الممثلة فيه فهي اليونان وفنلندا وهولندا وإيطاليا وفرنسا وسويسرا وتركيا وإيران وشيلي وسيلان وكندا . ومعظم الطلبة الأجانب كانوا يتلقون دروسهم في الولايات المتحدة بواسطة اعانات دراسية مختلفة من قبل الحكومات والمعاهد .

وكان يدير الأعمال الدراسية التي استغرقت ستة أسابيع ، بقصد اعداد الشبان للزعامة في الشؤون العالمية الدكتور ايروين توبن من كبار موظفي قسم الشؤون الدولية العمالية والاجتماعية والصحية بوزارة الخارجية الأمريكية . وقد شملت الدراسة محاضرات واجتماعات ومباحثات غير رسمية . وجرياً على العادة التي اتبعت في السنوات الأولى لإنشاء المعهد كان المحاضرون من أعضاء المجامع العلمية وموظفي الحكومة وأعضاء الهيئات الدبلوماسية في أقطار كثيرة . وهم ممن لهم سير حياة مختلفة .

وتعقد في المدرسة التاكونية ، طيلة أيام السنة ، اجتماعات لبحث الوسائل المؤدية الى تذليل الصعاب القائمة في سبيل حسن التفاهم فيما بين الدول . وبخلاف أعمال المعهد تشمل الأعمال الصيفية إقامة معسكر للشبان الأمريكيين والشبان الغرباء الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والسابعة عشرة . ويجري العمل في المدرسة الجبلية ، في خلال السنة الدراسية ، على اعتبار أنها مدرسة ثانوية الغرض من إنشائها إعداد الطلبة الغرباء ، عن طريق تلقينهم دروساً لغوية واتصالهم بالأمريكيين ، للإنتظام في الدراسة في الكليات في الولايات المتحدة .

صناعة نماذج الطائرات

يوجد في الولايات المتحدة نحو ثمانية عشر ألف شخص من صانعي نماذج الطائرات، وهم أعضاء في أكاديمية صانعي نماذج الطائرات، وهي هيئة مستقلة لا تسعى للكسب وتعمل فقط لتحسين صناعة الطائرات، كما إنها وثيقة الصلة بالجمعية الوطنية لشؤون الطيران. وهي تمثل في ميدان صنع نماذج الطائرات اتحاد الطيران الدولي الذي يسن اللوائح الدولية الخاصة بالطيران ومقره في باريس.

وقد أنشأت الأكاديمية في سنة ١٩٣٤ جماعة من كبار صانعي نماذج الطائرات لتطبيق أحدث النظريات في صناعة الطائرات وللارشاد والتوجيه في الشؤون المتعلقة بهذه الصناعة، وأعمالها معترف بها من جميع الهيئات والسلطات التي يعنيها أمر الطيران وهي تساعد ادارة الطيران المدني في حكومة الولايات المتحدة ومصلحة المعارف الامريكية وعدة مصالح حكومية أخرى على تنفيذ مختلف البرامج التعليمية والعلمية. ويقرر سياسة الأكاديمية مجلسها التنفيذي ويقوم بتنفيذها موظفو مقرها والمدير المنتدب في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة. ومما يذكر ان موظفي الأكاديمية وأعضاء لجانها ومجلسها باستثناء الموظفين العاملين في مقرها لا يتقاضون مرتبات على أعمالهم.

ويدير المسابقات التي تقرها أكاديمية صانعي نماذج الطائرات مديرون معترف بهم طبقاً لقوانين الأكاديمية ولوائحها. وهي تجري عادةً بإشراف الهيئات المدنية والتعليمية والتجارية. ولنضرب مثلاً على ذلك نقول ان معرض الطيران الوطني الكبير الذي أقيم في شهر يوليو الماضي في مطار أندروز الحربي الواقع على مقربة من وشنطن قد أقيم بإشراف الطيارين الذين اشتركوا في حروب في الخارج وهيئة الطيران المدنية والنادي الوطني لأعمال المطارات وجريدة « ذي إيفننج ستار » التي تصدر في وشنطن. وقد اشتركت في المسابقات التي أقيمت في ذلك المعرض للحصول على الجوائز ثلثمائة طائرة تقريباً وشهدها نحو خمسين ألف شخص.

وقد أقيمت مسابقتان هامتان في الولايات المتحدة قبل المسابقة الدولية التي أقامها فريق ويكفيلد بمدينة اكرون في شيلي من يوم ٢٦ أغسطس الى يوم ٢٧ منه. وقد اقيمت المسابقة الأولى من يوم ٤ أغسطس الى يوم ٨ منه، وكانت محلية، في القاعدة الجوية التابعة للبحرية الامريكية في أولاث بولاية كنساس، وأقيمت المسابقة الثانية في ديترويت بولاية ميتشيجان، وكانت دولية من يوم ١٨ أغسطس الى يوم ٢٣ منه.

ومما يذكر ان مسابقة ويكفيلد التي تعتبر أكبر مسابقة دولية، وقد أوجدها في انجلترا، في سنة ١٩٢٨، اللورد ويكفيلد لتشجيع الروح الرياضية عن طريق الطيران وقد أقيمت احدى عشرة مرة وكانت آخر مرة في سنة ١٩٣٩. وقد ربحت الولايات المتحدة الكأس الدولي في ذلك الحين كما إنها نالت شرف إقامة المسابقة في بلادها في هذه السنة ..

وترد الى مقر أكاديمية صانعي نماذج الطائرات، يوميًا تقريباً، رسائل تحية من الشبان في أقطار كثيرة، ويتبادل أعضاؤها في جميع أنحاء البلاد الرسائل بانتظام مع زملائهم المولعين بفنهم في الخارج.

اكتشاف علاج للحمى الراجعة

اكتشف الدكتور فورست هدلسون البكتريولوجي، دواءً جديداً لعلاج الحمى الراجعة. وهذا الدواء عبارة عن حقنة من بلازما الدم ومستحضرات السلفا. وطبيعة هذه الحمى انها تصيب الانسان في فترات متوالية وتستمر الاصابة بها أسابيع، وقد تمتد الى شهور.

وتقوم نظرية هذا العلاج على أساس أن بعض مستحضرات السلفا قادرة على تنشيط طاقة الأجسام الدافعة في دماء المصابين غير قادرة على قتل البكتريا. وثبت أن السلفاديازين والسلفاميرازين لا يستطيعان بث تلك الطاقة في هذه الأجسام. ولكن اذا حقن المريض بخليط مركب من احدى هذين المستحضرين والبلازما. فان السلفا تقوي طاقة الأجسام الدافعة في الدم الذي حقن به المريض، ومن ثمَّ تستطيع هذه الأجسام التغلب على بكتريا الحمى

وقد ثبت من اجراء التجارب الأولى لهذا الدواء على أن أعراض المرض تخف بعد مدة من العلاج تتراوح بين ٢٤ و ٧٢ ساعة وتختفي تماماً بعد أسبوع واحد.

زيادة مطردة في انتاج المانيا من الصلب والفحم

يؤخذ من تقرير أصدرته الادارة العسكرية الأمريكية، عن شهر يونيو، ان انتاج الصلب والفحم وصادراتهما في منطقتي الاحتلال الامريكي والبريطاني بالمانيا قد بلغ رقماً قياسيًا جديداً فيما بعد الحرب. فقد بلغ انتاج اقليم الرور من الصلب الذي يعتبر أهم المواد التي تساهم بها المانيا في برنامج الانعاش الأوربي ٧٣٣ر٧٥٠ طنًا متريًا في شهر يونيو أي بزيادة ٧١ ٪ على ما كان عليه في شهر يونيو من سنة ١٩٤٧. وبلغ الانتاج في الربع الثاني ١ر١٦٤ر٠٠٠ طن متري أي بزيادة أكثر من ٥٥ ٪ على ما كان عليه في مثل هذه المدة من سنة ١٩٤٧. وبلغ انتاج اقليم الرور من الفحم رقماً قياسيًا جديداً أيضاً إذ أن الانتاج اليومي وصل الى ٣٠٨ر٧٦٨ طنًا في يوم ٢٨ يونيو.

زيادة الانتاج في الولايات المتحدة

أصدرت الادارة الاقتصادية بوزارة التجارة الأمريكية بياناً جاء فيه أن القيمة الاجمالية للسلع التي انتجتها الولايات المتحدة والخامات التي قدمتها بلغت ما يساوي ٢٤٨ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنوياً في الربع الثاني من سنة ١٩٤٨ . ويزيد هذا المبلغ الذي يساوي قيمة انتاج البلاد السنوي بنحو ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ على ما قدرته الوزارة عند انتهاء الأشهر الثلاثة الأولى من هذه السنة .

* * *

ومن العوامل الهامة التي أدت الى زيادة قيمة الانتاج زيادة المصروفات السنوية الخاصة بالاستهلاك الشخصي بنحو ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار بالنسبة لمختلف أنواع السلع والخامات . وزادت قيمة مشتريات الحكومة من البضائع وما تلقته من خامات حتى زاد معدلها السنوي بأكثر من ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار على المعدل السنوي في الربع الأول نظراً لزيادة مصروفات الحكومة لشراء السلع اللازمة لمساعدة الدول الأجنبية وتوسيع نطاق أعمال الانشاء المحلية وخاصة أعمال انشاء الطرق .

وقالت الوزارة في بيانها أن قيمة الأموال الخاصة المستثمرة في داخلية البلاد قد قلت بينما زادت قيمة مشتريات المهمات الثقيلة في الربع الثاني من السنة بنحو ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار على ما كانت عليه في الربع الأول . ويعزى ذلك الى كثرة المخزون من بضائع القطاعي والجملة .

* * *

وقلت الأموال المستثمرة في الخارج في الربع الثاني من السنة في المعدل السنوي البالغ ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار الذي قدر في الربع الأول من السنة .

وزادت جملة مبالغ الدخل الشخصي الذي يشمل الأجور والمرتبات والأرباح العادية وأرباح الأسهم وأجور المحال والأملاك في الربع الثاني من السنة بنحو ١ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، أي أن معدلها السنوي بلغ نحو ٢٠٩ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار . ويرجع معظم الزيادة الى زيادة دخل المزارعين ، كما حدثت زيادة أخرى في ميدان التجارة والصناعة .

وقد زاد الدخل الشخصي الذي يمكن التصرف به في الربع الثاني نظراً لتخفيف الحكومة لفئات ضريبة الدخل في شهر مايو الماضي . ومما يذكر أن زيادة الدخل الشخصي وتخفيض فئات الضرائب التي يدفعها المستهلكون مما ساعد ذوي الدخل ، في

خلال الربع الثاني على زيادة الانفاق بمعدل سنوي قدره ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار على معدل نفقاتهم في الربع الأول، في حين إنهم احتفظوا بمدخرات شخصية في مستوى يزيد قليلاً على مدخراتهم في الربع الأول .

* * *

أما فيما يتعلق بميدان التجارة الخارجية فقد زادت كميات البضائع المصدرة في منطقتي الاحتلال الأمريكي والبريطاني في المانيا في النصف الأول من هذه السنة على جميع الكميات التي صدرت في سنة ١٩٤٧ . وقد بلغت قيمة الصادرات في الأشهر الستة التي انتهت في يوم ٣٠ يونيو ٢٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار، كما يؤخذ من بيان أذاعته ادارة التصدير والاستيراد المشتركة . ويزيد هذا المبلغ بنحو ٧ر٣٠٠ر٠٠٠ دولار على قيمة جميع صادرات السنة الماضية . وبلغت صادرات شهر يونيو سنة ١٩٤٨ نحو ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار منها ١٦ر٥٠٠ر٠٠٠ دولار قيمة مصنوعات . وهذه القيمة أكبر قيمة لصادرات المصنوعات في شهر واحد بعد انتهاء الحرب .

* * *

وورد في البيان ان الحالة الاقتصادية في المنطقتين كانت في شهر يونيو ، بصفة عامة ، غير مستقرة نظراً لاصلاح نظام العملة الذي أدى في البداية الى اضطراب الأعمال في الدوائر الصناعية وزيادة عدد العاطلين .

ومع ذلك صرح الجنرال لوشيوس كلاي الحاكم العسكري الأمريكي في المانيا ، في اجتماع صحفي عقد بواشنطن في شهر يوليو الماضي ، بأن اصلاح نظام العملة في مناطق الاحتلال الغربية قد ساعد على انعاش الصناعات واستيعاب العاطلين بالتالي . وقال انه قضى على السوق السوداء وأدى الى عرض سلع على أرفف المتاجر لم تشاهد فيها من مدة طويلة . وأضاف الى ذلك قوله ان النتائج الأولى لاصلاح نظام العملة كانت حسنة الى درجة لم تكن متوقعة مطلقاً . فقد جعل للنقود قيمة لم تكن لها في السنوات الثلاث الماضية .

* * *

وأدى تحسن حالة التغذية في المنطقتين الى زيادة الانتاج . فقد بلغ وزن واردات المواد الغذائية في شهر يونيو ٧١٤ر٩٤٤ طناً أي ما يقرب من ضعف متوسط وزن الواردات الشهري في سنة ١٩٤٧ .

* * *

وورد في البيان أيضاً ان تفكيك أجهزة البضائع الالمانية في منطقة الاحتلال الأمريكي لأخذها من ضمن تعويضات الحرب قد انتهى تماماً . ومعنى هذا ان طاقة المصانع الباقية ستستغل لانعاش غرب أوربا اقتصادياً .

لجنة استشارية امريكية
لاستغلال المواد النادرة

ألفت في الولايات المتحدة لجنة استشارية لضمان الحصول على المواد النادرة اللازمة لاقتصاد الولايات المتحدة وتنفيذ برامج المساعدة وبرامج التصدير الى الاقطار الأخرى واستغلالها على الوجه الأكمل. وستعمل اللجنة ، وهي مؤلفة من كبار موظفي مصالح حكومة الولايات المتحدة ، على تنسيق برامج الامدادات الكثيرة التي تعمل على تنفيذها وزارة التجارة الأمريكية

وتضم اللجنة ممثلين عن وزارات الخارجية والتجارة والمالية والزراعة والداخلية والعمل وادارة التعاون الاقتصادي المكلفة بالقيام بدور الولايات المتحدة في برنامج الانعاش الأوروبي وادارة بناء المساكن وادارات الدفاع الوطني وادارة النقل التابعة لقوات الدفاع . وهناك هيئات أخرى ستوفد مستمعين لحضور اجتماعات اللجنة .

وتقوم اللجنة بالأعمال التي كانت تقوم بها هيئات حكومية متفرقة . وبتأليفها أتيحت الفرصة لمختلف المصالح الحكومية المختصة للاشتراك في تقرير السياسات ووضع البرامج الخاصة بتوزيع المواد النادرة ووضع قيود التصدير واتخاذ التدابير اللازمة لتقديم المساعدة أولاً الى الجهة التي تستحقها قبل غيرها وعقد الاتفاقيات مع المؤسسات الصناعية الخاصة بشأن السلع النادرة .

وقال المستر تشارلز سوير وزير التجارة الأمريكية ، أن اللجنة ستراعي في عملها الغاء قيود الطوارىء التي كانت موضوعة في وقت الحرب إلاّ ما هو ضروري منها لحماية الاقتصاد الوطني ولإمداد الأقطار المحتاجة عملاً بسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، بالسلع التي لا يمكن تصديرها الى جميع الجهات بغير وضع قيود له ، والعمل على استقرار الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة ، وتوزيع البضائع التي تؤثر تأثيراً مباشراً على تكاليف المعيشة أو الانتاج الصناعي بنظام وإنصاف ، وتعزيز الأمن الوطني بواسطة الحصول على مقادير كافية من المواد والمهمات الضرورية .

ولكي تقوم اللجنة بعملها على نطاق كهذا ينتظر أن تقوم بدور هام في الميدان الاقتصادي . ومع أن الانتاج في الولايات المتحدة قد بلغ الذروة فان الطلب على كثير من المواد يزيد على الموجود منها . ويعتبر عمل اللجنة في المحافظة على موارد الثروة الوطنية وتوزيع المواد النادرة توزيعاً عادلاً ذو قيمة كبيرة ، كما أنه ضروري لمواصلة الانتاج على مستوى عالٍ واستمرار تصدير

المواد اللازمة للتعمير في الخارج طبقاً لنظام الموضوع له .

وذكر المستر سوير ، في تقريره الأخير الذي قدَّم نسخة منه الى الرئيس ترومان كما قدَّم نسخة أخرى الى الكونجرس ، ان قيود التصدير قد فرضت لمنع التضخم المالي الذي يحدث نتيجة لتأثير الطلبات الخارجية على الاقتصاد الوطني ولتوزيع المواد النادرة . مع مراعاة المناطق من الناحية الجغرافية ، بطريقة تساعد على إنعاش العالم اقتصادياً ولمراقبة شحنات المواد التي تصدر الى شرق أوروبا، وخاصة ما يكون منها ذا قيمة بالنسبة لزيادة القوة العسكرية .

وقال مع ذلك أن الولايات المتحدة تدرك أن بعض الدول الأجنبية في حاجة ماسة الى المواد النادرة وإنها ستصدر كل ما تستطيع أن تستغني عنه منها بدون أن تتأثر الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة تأثيراً سيئاً بذلك . ومما يدل على ذلك الحقيقة الواقعة وهي أن الولايات المتحدة التي كانت تورد ما قيمته حوالي ١٥ ٪ فقط من القيمة الكلية للبضائع التي كانت تستوردها الدول الأخرى قبل الحرب تورد الآن ما تزيد قيمته على ٣٥ ٪ من تلك القيمة .

برنامج وزارة الزراعة الأمريكية لمكافحة الحشرات الضارة بالحبوب

تقوم الآن وزارة الزراعة الأمريكية بتنفيذ برنامج واسع النطاق في جميع أنحاء الولايات المتحدة لصيانة الحبوب اللازمة للاستهلاك العالمي ، ومن أهم الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن القضاء على الحشرات التي كثيراً ما سببت خسائر فادحة في محاصيل الحبوب . وتعتمد تلك الحملة للقضاء على الحشرات على وسيلتين أولاهما البحث العلمي وثانيتهما ارشاد الزرّاع عن خير الوسائل لتخزين الحبوب .

وقد وفق علماء الحشرات في وزارة الزراعة الأمريكية الى اكتشاف طريقة تمكن الإنسان من أول مرة معرفة مدى الاصابة بالسوس في الحبوب ، وتعتمد الوزارة كثيراً على هذه الوسيلة في برنامجها لمكافحة الحشرات فقد اكتشف علماء وزارة الزراعة أن وضع عيّنة من الحبوب عدّة دقائق في صبغة تحتوي على اكسيد الفوكسين ثم غسلها بالماء فيما بعد يبين مدى الاصابة بالسوس، فالحبوب المصابة تظهر عليها بقع حمر صغيرة تدل على أن السوس قد باض في نواة الحبة . أما الحبوب الخالية من السوس فلا تظهر عليها بقع حمر .

ولم يستطع الخبراء في الماضي معرفة ما إذا كانت الحبة مصابة أو غير مصابة إلا بعد شقّ النواة أو فحصها بالميكروسكوب .

وتضع أناث السوس بيضها في الثقوب الدقيقة التي تثقبها تلك الحشرة في قشرة الحبة لتدخل منها الى قلبها . وبعد ذلك تسد الحشرة تلك الثقوب بمادة هلامية متى جفت انسدّ الثقب تماماً وبدت الحبة كأنها سليمة من الداخل. وعندما توضع الحبة المصابة في الصبغة المشار إليها آنفاً يتلوّن ذلك الجزء المسدود بالمادة الهلامية باللون الاحمر .

وقد أخذ أصحاب المطاحن في الولايات المتحدة يستخدمون تلك الوسيلة الجديدة لأنه لم يكن في استطاعتهم من قبل أن يميزوا الحبوب المصابة بالسوس إلاّ بعد طحنها . وكان الدقيق الذي يكتشف فيه سوس يستعمل لاطعام الماشية .

أما الآن وبعد اكتشاف الوسيلة الجديدة فإن أصحاب المطاحن لا يطحنون لاستهلاك الآدميين إلاّ الحبوب التي تثبت لهم التجربة أنها خالية من السوس .

وقد أكدت هذه الوسيلة أهمية صيانة الحبوب المخزونة في المزارع من الحشرات. فقد ثبت ان الحشرات تستهلك من حبوب الزرّاع المخزونة ما لا يقل عن ٥ ٪ . ولهذا قام علماء وزارة الزراعة الامريكية بتجارب واسعة النطاق لارشاد الزرّاع عن خير الوسائل لتخزين الحبوب، وأبلغتهم تفاصيلها وتشمل هذه الارشادات أحسن الطرق لبناء الصوامع ونوع المواد القاتلة للحشرات ومقدارها وكيفية استعمالها لرش الجدران وأرض هذه الصوامع الخشبية .

وتأمل وزارة الزراعة عن طريق بحوثها وما تمد به الزرّاع من ارشادات ان توفر مقداراً أكبر من الحبوب اللازمة لحاجات العالم.

تأثير الاشعاع الذري على الحيوان والنبات

بعد تجربة القنبلة الذرية

تعد جماعة من العلماء الأمريكيين برئاسة الدكتور لورين دونالدسون ، مدير معمل مصايد الأسماك بجامعة واشنطن ، تقريراً عن تأثير الانفجارات الذرية على حياة الحيوان والنبات في منطقتي جزيرتي بيكيني وإينيويوك المرجانيتين الواقعتين في وسط المحيط الهادىء . وكانت لجنة الطاقة الذرية الأمريكية قد أوفدت أولئك العلماء الى هناك بمساعدة وزارة البحرية الامريكية . وهم من المدنيين . وعندما ينتهي العلماء من دراستهم لما شاهدوه ويقررون نتائج بحوثهم ستذاع المعلومات التي لا يكون في اذاعتها خطر .

وكان الدكتور دونالدسون قد سافر من قبل الى جزيرة بيكيني على رأس بعثة علمية في صيف سنة ١٩٤٧ .

توليد وقود من الشمس

لتدفئة المنازل وادارة المصانع

أصاب العلماء تقدماً كبيراً في معرفة كيف يحول النبات الهواء والماء والمواد الكيماوية في التربة الى غذاء له ، وعلى هدى هذا التقدم بدأ العلماء يفكرون في توليد طاقة شمسية وتحويلها الى وقود لتدفئة المنازل وادارة المصانع .

ومفتاح المشكلة هو الكلوروفيل (المادة الخضراء في النبات) . والمعروف ان الكلوروفيل هو المادة الوحيدة في الطبيعة ذات خاصية فريدة لتخزين الطاقة الشمسية في شكل موارد ذات فائدة . ويقول العلماء انه متى تم الوقوف على سر طاقة الكلوروفيل فستتوفر للانسانية موارد لا تنفد وتعود عليها بأحسن الفوائد .

ويقول أحد العلماء ان في الامكان توليد وقود يشبه الفحم والزيت بطريقة صناعية . وأشار الى أن البحوث الخاصة بتوليد الطاقة من الشمس مباشرة قد قطعت شوطاً بعيداً في طريق التقدم . ثم قال ان المواد النباتية في باطن الارض تتحوّل الى زيت وفحم في عدة قرون طويلة بطريقة طبيعية ، فاذا نجحت هذه البحوث فقد يتمكن العلماء من تقصير تلك المدة الطويلة .

اصلاح خطأ

بعض أخطاء وردت في كتاب « عالم الذرة » الذي ألحق بمقتطف شهري يوليو وأوغسطس

الصواب في صفحة	٦	وسطر ١٦	الكولب Caulomb
»	١١	٢٤	بعضها في أفلاك
»	١٤	٩	مع كهربين
»	١٦	١٩	غير ثابتة
»	٢٨	٢٣	ان القوة بالارج تساوي المادة بالجرام
»	٢٨	٢٣	Mc^2
»	٤٠	٦	الذي وزنه ٢٣٨ يصبح وزنه ٢٣٩ ورقمه ٩٣
»	٨٨		الكلمة الاخيرة بلوتونيوم

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٢٤٥ الروحانية وتطورها عند البدائيين وفي العصر القديم : اسماعيل مظهر
٢٥٢ الارشاد الاجتماعي وعلى أي أساس يجب أن يقوم : جمال الدين حمدي
٢٥٨ جيزيل ابنة الامبراطور شارلمان : ماري هندرسون : ترجمة الآنسة نعمت حس
٢٦٩ طليطلة : محمد رجب البيلي (مصورة)
٢٧٧ ذكرى يوهان ليندهارد : للميجر كراج السويدي : ترجمة أبي سلمى
٢٨٠ صيد الاسفنج في خليج المكسيك : أمين عبده
٢٨٥ وصف العاصفة عند امرئ القيس وعند فرجيل : الاب فريد جبر العازري
٢٩٢ المجتمع والسياسة في الادب المصري الحديث : هيوارد ديون : ترجمة وديع فلسطين

٣٠٩ باب مملكة المرأة * وفاء امرأة . من شهيرات النساء : ايلين سالسبوري . باندي ترا
أنشودة البراهمة الوطنية . الطفل في مراحل نموه . قواعد ذهبية لمن يريد أن يحفظ صحته.
أقوال في المرأة : السيدة انصاف عصمت
٣١٧ باب المراسلة والمناظرة * تعليق على مقالين : رشيد السعد
٣٢٠ مكتبة المقتطف * معجم الاحلام : نقولا الحداد . قصة الذرة
٣٢٣ الاخبار العلمية * معهد الشؤون العالمية . صناعة نماذج الطائرات . اكتشاف علاج للحمى
الراجعة . زيادة مطردة في انتاج المانيا من الصلب والفحم . زيادة الانتاج في الولايات
المتحدة . لجنة استشارية اميركية لاستغلال المواد النادرة . برنامج وزارة الزراعة الاميركية
لمكافحة الحشرات الضارة بالحبوب . تأثير الاشعاع الذري على الحيوان والنبات بعد تجربة
القنبلة الذرية . توليد وقود من الشمس لتدفئة المنازل وادارة المصانع

لحق المقتطف

١ — ٣٦ العجل الابيض : عن فولتير : ترجمة جلال مظهر